د. محمد سعيد القشاط

نماذج من الشعر العربي في الصحراء

نماذج من الشعر العربي
فـي الصحراء

د. محمد سعيد القشاط

نماذج من الشعر العربي فــى الصحراء

شركة الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
1996 افرنجي

الناشر:
شركة الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان
ص. ب 113/6505

الإهداء

إلى روح أمي الطاهرة
في مثواها الأخير

محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

صحراء العرب الكبرى التي تحتل وسط الشمال الافريقي من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، تقطنها قبائل عربية بل من صميم العرب، قطعهم عن اخوتهم في الشمال اتساع الصحراء، ورسوخ الاستعمار الفرنسي في المنطقة لأمد طويل.

عاش عرب الصحراء في تعتيم مقيت، جهل أخوانهم عنهم كل شيء.

غير أنهم لم يأبهوا بذلك، فأرسوا دعائم حضارة صحراوية في تلك الأصقاع وتكيفوا مع الصحراء واتساع آفاقها ووعورة مسالكها. فأنشأوا المدارس الخاصة بهم، وأكثروا من الكتاتيب. ونبغ منهم الشعراء والأدباء والمؤرخون والعلماء الأجلاء. وعمرت خيام الصحراء بآلاف المخطوطات اللغوية والفقهية والتاريخية ودواوين الشعر.

رأيت في هذه العجالة أن أجمع مجموعة من القصائد لشعراء من الصحراء بعضهم في موريتانيا، وبعضهم في شمال مالي لأقدم لقرّاء العربية نموذجاً للشعر العربي في صحراء العرب.

المتمعن لهذا الشعر يجده نفس الشعر العربي قبل الإسلام وفي صدره الأول، نفس التشبيهات والبدايات، الغزل، والوصف وذكر الأماكن والآبار، العفة في الوصف، والحياء في التشبيب، والتلميحات في الوداع والصبر على البوح بما تحوي الصدور.

جمعت هذه القصائد من مخطوطات عثرت عليها في المنطقة، ومن حفظ الحافظين، ومن بعض القصائد المنشورة في كتاب الوسيط.

جمعت هذه القصائد لأقدمها للقارىء العربي كنموذج لشعر أهله واخوته في الصحراء، علّ هذا العمل يجد من يتحمس لإتمامه من البحاث العرب والدارسين وأن يجند بعض الدارسين العرب أنفسهم لنفض الغبار عن تراث عروبتهم في الصحراء، وأن يظهروا آلاف المخطوطات للنور بدلاً من أن تقبع في صناديق الأسر في خيام البدو بالصحراء.

وقبل أن تنقل إلى بلدان الغرب الذي ينفق على بحاثه المتوزعين في الصحراء يجمعون وثائق ومخطوطات نحن أجدر بجمعها وحفظها ونشرها.

آمل أن أكون قد قدمت شيئاً مذكوراً أخدم به أمتي وأهلي ووطني.

وما توفيقي إلا بالله.

د. محمد سعيد القشاط

طرابلس الغرب.

2 من شهر الطير/ ابريل 1994

الشاعر عبد الله بن محمد عبد الله بن سيدي علي النجيب

لاحت لهندٍ بذاتِ الدُّبِّ أطلال

عَفَا معارفَها هوجٌ وأسيالُ

فذاتُ عَنسٍ وذات التوأمين إلى

وادي الصناديق فالقرعاء فالخالُ

أضحت كأن لم تكن للأهل مرتبعاً

ولم تكن لهمُ بالقيظ محلالُ

سقى الإلٰه إضيناً بين أودية

قُفْرِ المعارفِ لا يبدو بها خالُ

وقفتُ أسأله والدمعُ منحدرٌ

على الترائب منهلٌ وهطّالُ

فقال مثلك لا ينفكُّ يسألني

كفاك منّي ما تبدي لك الحالُ

واستطرفت بعد ما لاح الصباحُ بهم
ركـابـهُـم زُجَـلاً يـحـد بـهـا الآل
لـعـلّ إلـمـامـةً بـالـخـالِ ثـانـيـةً
يُشْفَى بها من غليل الصّدْرِ بلْبَالُ

* * *

الشاعر عبد الله بن محمد عبد الله بن سيدي علي النجيب

كيف السُّلُوُّ وقد شطّتْ بنا الدار
أم كيف أصبرُ والأحبابُ قد سارُوا
ومنزلُ الأنس أمسى بعد ساكِنِه
مُسْتوْحِشاً حينَ غابت عنه أقمارُ
ما كان أحسَنُنَا والدارُ تجمعُنا
والحبلُ متّصِلٌ والعيْشُ مدرارُ
يا ساكنين بقلبي أينما قطنوا
وراحلين بقلبي أينما ساروا
غِبْتُم فأظلمت الدنيا لغيبتكم
وضاق من بَعْدِكم رحبٌ وأقطارُ
ليت الغراب الذي نادى بفرقتكم
عارٍ من الريش لا تحويه أوكارُ

* * *

الشاعر محمد المبارك بن حمتّال الأنصاري

لمن الطلولُ على شفير المنهلِ
كـدريـس بِـزّةِ عـائـلٍ مـتـبـذّلِ
أرخـتْ عـلـيـهـا كـل مُـزْنٍ رُدنَـهَـا
وألـحّ عـنـهـا كُـلُّ جـونٍ حَـوْمَـلِ
ربْـعٌ لـغـانـيـةٍ سَـهِـدْتُ لـذِكـرهـا
فـاغـرورقـتْ عـيـنـي بـدمْـعٍ مُـسْـبِـلِ
دَرْمـاء عَـبْـهـرةٍ شـمـوعٍ طَـفـلـةٍ
تنفي الكروبَ على ضمير هَبَرْكَلِ
خُـمـصـانـةٍ قـبّـاء خـوْدٍ بـضّـةٍ
رقـراقـةٍ مَـرْمَـارةٍ مِـنْ مُـجَـوَلِ
مـمـكـورةٍ بـهـنـانـةٍ عـطـبـولـةٍ
عـجـزاء هـتّـافٍ أنـاةٍ عـيْـطَـلِ

وكـأنّ كـشْـحَـيْـهـا إذا جـرّدتَـهـا
بالـلّـيلِ بعـد البردِ نَسْجُ الكهْدَلِ
وكـأن عـن لـبّـاتِـهـا لـجـمَـالِـهـا
وكمالِ رونَقِها كجمرةِ مُضطَلِي
من جاءها وقت الغياهب نالَ ما
يُزري بطيب ألَنـجَجِ وقرنْفُلِ
تُلهيك عن حسن النساء وتَسْبي
لُبّ اللبيب بكالرّحيق السَّلْسَلِ
وتميسُ مَيْسَ الوزِّ عند قيامِها
وفتورُها عمّا قليلٍ يَنجَلِي
لمياء تقتحم الغوائلِ في الدّجى
لتنال منها يا لها مِنْ كَهْدَلِ
وأظُنُّ أن لم يخْلُق المولى لها
نِدًّا إذا افترّت بليلٍ ألْيَلِ
وإذا رمتْك بطرْفِها انقطَعَتْ له
أعشَارُ قلبِك سامحاً بتذلُّلِ
يا ليتني نلتُ المزارَ لأهلها
فأذوق طعمَ رِضَابِها وأقبّلِ
من لامني في ودِّها عُذري له
لو ذقتَ ما قد ذقْتُه لم تَعْذُلِ

بَـرّامَـةٌ تَـغـطُـو بـكـفٌ طـيّـبٍ
هـرّابـةٌ مـن كـل جَـبْـسٍ بُـهْـصُـلِ
قَدْ منّ ربُّ العرشِ عن بغْلٍ لها
لـمّـا أبَـاتَـهُـمـا شـريـكـي قَـرْقَـلِ
تَـبًّا لـمـغـتـابٍ رمى وأبى الـهَـجَا
عـنـدي لـحـاهُ الـلـه مـن مـتـكـيّـلِ

* * *

الشاعر حمّاها بن محمود

يا صاحبي عُجّ بالطّلولِ الرّكُوب
نسألْ عن الأهلِ ونَبْكِ الغروب
لعلّ دمعَ العينِ يُشْفَى به
وَجدٌ له في القلبِ دهراً عُكُوب
دارٌ لفاطِمَات أمسَتْ كأن
لَمْ تغنِ بالأهلِ بذات الكثيب
فقال: ما سؤالنا هامداً
ورُكّداً مَوَاثِلاً لا تُجيب
هل من رسولٍ مُبْلغ غادةٍ
قلبي لَها دوماً مَشوقٌ طَرُوب
إذا تراءى طيفُها في الكرى
لِيْ مَوْهِناً بكيْتُ شَجْوَ الغريب

وإن رجوتُ وَصْلَها ساعةً
تعَرّضَتْ دون الوصال الخُطُوبْ
وإن سمت لي نحوها نظرة
نمّت على القلب فأمسى يذوب
ذكرى تهيج الشوق ما إن تني
تعتادني ما إن لها من عزوب
فيا لها من غادة تَسْتَبي
قلبي فأعيا الداءُ منه الطبيب
خودٌ تساقي الصَبّ صرف الهوى
تلين إن عاتبتها وتطيب
كأن في فيها بُعَيْد الكرى
مُدَامةً بماء مُزنٍ وطيب
ظالمةٌ تسطو ولا تختشي
وهي بألباب الرجالِ لَعوب
والضعفُ والعجزُ بها ظاهرٌ
لكنّ سلطانَ الجمالِ مَهِيب
لها من القلوبِ ما تشتهي
وما لنا في قلبها من نصيب
رقّي لصبٌ صادقٍ في الهوى
وشاهداه عبرةٌ وشحوب

هل لليالي الوصلِ من عودةٍ
يُشْفَى بها القلبُ المُعَنّى الكئيب
أم لا فلا مَطْمعَ فيها وقد
جَفَا الحبيبُ والمزارُ عصيب
تعتادني من ذِكرها هزّة
وعَبْرةٌ ما تنقضي ونحيب
ليالي اللهوِ له نَشْوَة
نجني ثمارَ كلِّ روضٍ خصيب
والدهْرُ عنّا غافلٌ والهوى
طلقٌ ودارُ الحبِّ منّا قريب
والوصلُ مدرارٌ وليس لنا
إلاّ ارتدا ثوبِ العفافِ رقيب
إنّي وتهيامي بها إذ عَدَت
عَنْها العوادي والزمانُ المريب
كالذي يتّبِعُ الآل في
رقراقِه يحجو الشرابَ الشريب

* * *

الشاعر حمّاها بن محمود

أقـول لـصـاحـبـي والـدمـع مـنّـي
على الـخدين يـجـري في الـمـغـانـي
أكـفـكـفـه وتـبـعـثُـه شـجـونٌ
أربّـت فـي الـحـيـازم مُـذْ زمـانِ
أوافـيـه بـمـا مـنّـتْـك لـيـلـى
أم الأخْـلافُ مـن شـيـم الـغـوانـي
ألا يـا لـيـت شـعـري هـل لـمـانـي
مـن الأمـر الـخِـلاجِ أخـو بـيـانِ
أحـالـت بـعـدنـا عـمّـا عَـهِـدنـا
لأن عـزَّ الـتـواصُـل والـتـدانـي
لـعـمـركَ والـهـوى بـرْحٌ شـديـدُ
عـلـيـنـا حـمـلُـه لـولا الأمـانـي

أعـلّـلُ بـالـمـنـى قـلـبـي وإنـي
أسيـرٌ لـلـهـوى فـي الـغُـلّ عـانِ
لـقـد حـلّـت بـقـلـبِـك واسـتـحـلّـتْ
لـقـتـلـك بـالـهـوى لا بـالـطّـعَـانِ
ورُبّـةَ لـيـلـةٍ قـد بـتُّ فـيـهـا
أسيـرُ مـع الـهـوى طَـلْـقَ الـعنـان
لَـعَـمْـرِكَ إنّـنـي لـمّـا افـتـرقـنـا
غـداةَ الـبـيـن مـكـرون الـجـنـان
فـقـال: تـجـلّـدَنٌ فـلـيـس يُـجـدي
مـن الـشـوقِ الـبـكـاءُ ولا الأغـانـي
فـقـلـت: دعِ الـعـتـاب فـغـيـر عـدلٍ
عـتـابُ مـتـيّـم غـلـق الـرهـان
ولا عـجـبٌ إذا انـهـلّ دمـعـي
لـخـوْدٍ مـا لـهـا فـي الـحُـسْـنِ ثـانِ
كـأن جـبـيـنـهـا لـمـا تـبـدّت
لـنـا مـن بـيـن أتـرابٍ حـسـانِ
تُـجَـلـي عـن ثـنـايـا بـارداتٍ
كـمـثـل الـدُّرّ أو كـالأقـحـوان
دراريُّ الـنـجـوم بـدت بـصـحْـوٍ
لـبـدْرِ الـتـمّ أو فَـضَـضُ الـجُـمـانِ

إذا ابْتَسَمت تُريك الليلَ صبحاً
بلمعٍ يُخجلُ البرقَ اليماني
وإن قامت لجارتِها تثنّت
كما ماست غصونُ الخيزرانِ

* * *

الشاعر محمد بن ابراهيم الأنصاري

ألا طـرقـت خـديـجـةُ مُـسـتـهـامـا
يُـــرَدِّدُ فـــي حـــيـــازمـــه غـــرامـــا
فـظـلّ وجَـفْـنُـه يـرْفَـضُّ دمـعـاً
عـلـى خـدّيْه يـنـسـجـمُ انـسـجـامـا
تـكـلّـفُـه الـهـمـوم إذا رأتـه
يـطـوفُ بـدارِهـا أن لا يـنـامـا
هـمـومٌ كُـلّـمَـا كـلّـفْـتُ نـفـسـي
تُـجَـمـلَ شـأنِـهـا وَرَدَت ذِمَـامـا
إلـى غـيـداء مـثـلِ الـدُّرِّ لـونـاً
وإبـهـاجـاً وأحْـسَـنِـه ابـتـسـامـا
إذا ابـتـسـمـت فـمـا لـيـلٌ بـلـيـلٍ
وتـحـتـشـمُ الـبـروقُ لـهـا احـتِـشـامـا

تـزيـد مـحـاسـنـاً فـي كـلّ يـوم
بـعـيـنِ الـنّـاظّـريـن لـهـا دوامـا
سـلام الـلـه يـا تَـمَـدَيْ عـلـيـكـم
ولـو أنـسَـاكِ بـعـدكُـمُ الـذِّمـامـا
سـلامٌ كـلـمـا مـرّتْ حـمـامٌ
أحـمّـلُـه لـهـا عـامـاً فـعـامـا
أقـول لـهـا حـمـامُ الـجـوِّ مـهـلا
رويـدكِ بـلّـغِـي عـنّـي كـلامـا
لأنّ الـشـوقَ بـعـد الـبـيـنِ شـيءٌ
مُـهـيـنٌ مَـنْ يُـلازمُـه لِـزَامـا
ألا يـا ويْـحَ نـفـسـي مِـنْ شـجـاهـا
إذا حـيّـيْـتُ داركِ مُـسْـتـهـامـا
أحـيِّـيـهـا ولـيـس بـهـا أنـيـسٌ
يـردُّ عـلـى تـحـيّـتِـيَ الـسـلامـا
تـحـيّـة ذي الـصـبـابـةِ لـيـس يَـنْـبـوَ
إذا اجـتـمـع الأجـنّـةُ والـنّـدامـى
كـأنّـي يـوم مـظْـعَـنِـكُـم يـتـيـمٌ
أعـالـجُ مـا تـعـالـجُـه الـيـتـامـى
يَـطـلُـقـه الأسـى طَـوراً وطـوْراً
يـمـازجُ مـن ثـلاثـتـه الـعـظـامـا

* * *

الشاعر حماها بن محمود

لـتـنـبـكـتُ شـوقٌ دائـمٌ وأنـيـنُ
وتـذرافُ دمـعٍ هـاطـلٍ وحـنـيـنُ
أبـيـتُ وقـلـبي لـلـهـمـومِ مـعـسكِرٌ
وأُصـبِـحُ صـبًّـا والـدُّمـوع هـتـونُ
ولـو لـم يَشُقْنِي البينُ يَوماً لشاقني
حـمامُ تـغنّـى في الـغـصـون حزيـن
إذا ما عرضْتَ الصبْرَ للقلبِ شاقَهُ
هـمُـومٌ لـه مـا تَـنْـقـضـي وشـجـونُ
كـأن فـؤادي يـوم أصـبـحـتُ شـاسـعاً
هـديـلُ حـمـامٍ بـالـيـديـن رهـيـن
تـضـيـقُ عـلـيّ الأرضُ حتـى كـأنّنِي
مـن الـعُـمـي حـيـرانٌ جـفـاهُ مـعـيـنُ

أرى كل ذي إلفٍ يضاحِكُ إلفَهُ

وليس معي إلا الهموم خدين

ومما شجاني والخطوب كثيرةٌ

وليس على الدهرِ الخؤون ضمين

تداعي حماماتٍ على غُصيْنِ بانةٍ

فيهتاجُ داءٌ في الفؤادِ دفينُ

تداعيْنَ فاستعبرْتُ بالدمْع والهوى

تباريح أطوارٌ جوًى وجنونُ

كأني إذا جنّ الظلام وأُسدلت

عليّ من الليل البهيم جفونُ

أخو شقّةٍ قد منّهُ السيْرَ واحتَوتْ

عليه من الأرضِ الفضاءِ بطُون

رمى طرفُه في جانبيه فلا يرى

سوى مجهلٍ قفرٍ وليس قرينُ

* * *

الشاعر محمد المختار بن حوّد الأنصاري

فلما رأيت الشوقَ لا بدّ قاتِلي
نهضْت إلى أقتادِ أعوجَ بازلِ
هبلٌّ كأن الرحْلَ فوق سراتِه
على قارحٍ منْ ماءِ كرْوَسَ ناهِلِ
يبيتُ نسِيفُ البقْل حول كناسِه
ويسحَلُ عن أُتنٍ حيالٍ حلائِلِ
يُطَاردها في الآل كلّ هجيرةٍ
على محز إلأتِ صلابٍ ذوابِلِ
يشجُّ بها أعلى الشّعافِ وتارةً
يطوفُ بها حول الهضابِ القواعِلِ
على مثلِهِ أجْلوُ الهموم وأمْتَطي
إذا ما أتت إحدى الليالي بهائِلِ

نـعـم قـد وردنـا مـاء هـورُ غـديّـةً
فقلـتُ ألاهـل من مـجيبٍ لـسائِلِ

فـقـالـت لـنـا سـوداءُ لا درَّ درُّهَـا
أفـي فـدفـدٍ قـفْـرٍ مـحـطُّ الـمـسـائـلِ

فـبـرّحَ بـي فـقْـدُ الأحـبّـةِ كـلـهـم
وزاد الذي بي من هوى غير زائلِ

فقلتُ لناجٍ تحتَ رَحْلِي ضامرٍ
يـخـبُّ ويـربـي جـذبَـه بـالـتّـنَـاقُـلِ

مناخَك وادي الجِنّ وادي جبنكرٍ
فَتَقْسَ فصنْفُ عهدُ ظَنّي بنازلِ

فـلـمّـا أجَـزْنَـا سِـلَّ دون أرَنـكـم
وجـور وأقْـوَتْ مـن عـدوٌ مـقـاتِـلِ

فعنّ لنا حيطانُ «ليرى»[1] ودومُها
انَخْتُ وقلبْتُ الحصى بأناملي

فقالت لي النفسُ التي لو أطَعْتُها
لأبـتُ بِبَـخْـتِ الـزمّـلِ الـمـتـكـاسِـل

أتـهـجُـرُ أرضـاً بَـجّـلـتْـك خِـيـارُهـا
وتـأوي إلـى ركْـنٍ بـعـيـدٍ مُـمَـاحِـلِ

---

(1) ليري: قرية بين موريتانيا ومالي داخل أراضي مالي.

فناديتُها يا نَفْسُ قرّي وأبشري
فإني لديهم فاضلٌ أو كفاضلِ
فلما وصلْنَا صوب مِيمَ وجدتُها
بها التائي هشٌ ذو فخارٍ ونائلِ
فتى لم يُدنّس عِرْضَه بؤس دهْرِه
فتًى كمُلَت أخْلاَقُهُ غيرُ خامِلِ
أبى الله إلا أن يكون سميدعاً
سبوقاً إلى فرع الْعُلى المتطاولِ
إذا ما غريبٌ قال مَنْ لي بحاجتي
أشاروا إلى بَرٍّ وفيٍّ حُلاَحِل
به قد صفَتْ حتى استقامت وسُدِّدَتْ
قبيلتُه واللهِ بين القبائلِ
فلما توادعنا وداعاً وأُعْمِلت
إلى بئر تاغُوتَلٍّ أيدي الرَّواحلِ
وحنّتْ إلى دار السلام وصُقْعِها
بكيتُ عليه بالدموع السوائل
فآليتُ لا أنفَكُّ أكْسُوهُ حُلّةً
قصائِدَ تترَى من طويلٍ وكاملِ
تعيرُ إليه من مُوَامٍ عميقةٍ
ويعجزُ عن أمثالها كُلّ قائِلِ

وكـم دون كـنٌّ مـن فـيـافٍ مَـهـالـكٍ

بسـابسَ يُـخْشـى هـولَـهُـنّ مَـجـاهِـلُ

وكـنٌّ غـيـاضٌ مِـن سَـيّـالٍ ومِـن غـضـاً

شـحـنٌ بـشـريـانٍ أثـيـث الـخـمـائِـل

صـفـاصِـفُ يَـغـلُـوهـا الـقـتَـادُ مُـتـيـهـةٌ

وأوديـةٌ مـن ضـالٍ غـورِ الأسـافِـلِ

يَـخُـبُّ بـهـا سـافِـي الـسّـفِـيـر كـأنّـهـا

جـواجِـرُ رِجْـلٍ عـنْ رؤوس الـسّـنَـابِـل

* * *

شاعر يمدح الشيخ حبيب الله الكنتي[1]

ألــمــم بــدارٍ قــد تــغــيّــر حــالُــهــا

وعــفَــتْ بــأذيــالِ الــحــيَــا أذيــالُــهــا

وسَــلِ الــمــنــازل عــن بــثــيــنــةَ بــعــدمــا

ظــعــنَــتْ وودعــتِ الــرُّبُــوع رِحــالُــهــا

عَلّ المنازل إن سألْتَ تجيبُ سا

ئِــلَــهــا وإن لا لــم يَــفــدْكَ ســؤالُــهــا

إن لــم تُــجِــبْــكَ ديارُها فَسَلِ الــهــوى

عَــنــهــا يُــجــبــك جَــمَــالُــهــا وكــمــالُــهــا

أمــســت بــثــيــنــة دارُها بِــتَــمْــسَــنَ قــد

شــطّ الــمــزارُ بــهــا وعَــزّ وصــالُــهــا

---

(1) هذا الشاعر لم أعثر على إسمه ولكنه من الصحراء.

إلا علـى خُوصٍ نـجائـب لا تَنِي
تـطْـوِي الـفـلا مـتـواصِـلاً إرقـالُـهـا
إلا عـلـى ضـخـم الـشَّـوَى مشـدودةٍ
بـرحـالِـهـا مـفـقـودةٍ أثْـقَـالُـهـا
إلا عـلـى وجْـنَـاءَ مُـرْغَـمـةِ الـبُـرَى
زيّـافـةٍ مُـتَـوَاتـرٍ اذلالُـهـا
ولـقـد نـأتْـكَ بـثـيـنـة أبـداً وبـا
ن إلـيـك بـعـد وثـاقـهـا إرسـالُـهـا
دعْـهَـا وجـارتَـهـا رُقـيّ مـتـى غَـدَتْ
لـحـديـثِ غـيـرِكَ قـد تـخـلّـصَ بـالُـهـا
واقـصِـدْ ويـمّـمْ دارَ مـن كـانَـتْ لـه
الـدارانِ مِـلـكـاً تـلـك عـزّ مـنـالُـهـا
أعـنـي حـبـيـب الـلـه ذا الـجـدوى فـلا
أعـنـي سِـوَاه بـمَـدْحـةٍ أأتـالُـهـا
يـا سـيـدي أنـتَ الـمُـعَـدُّ لـكـلِّ مَـنْ
صَـعُـبَـتْ حـوائِـجُـهُ وضَـاقَ مـجـالُـهـا
وسَـمَـا كـنـاتَـةَ أنْـتَ أنـت وأرضُـهـا
وأمـيـنُـهـا ويـمـيـنُـهـا وشـمـالُـهـا

وجـمـيـلُ أعـبـاءِ الـعُـفَـاةِ بـلا أذًى
لـمّـا اشـتـكَـتْ أحْـمَـالَـهـا حُـمّـالُـهـا

وَلـدَى الـحُـروبِ وراثَـةٌ من أبيك إذْ
نـادى نـزيـل الـحـزبِ أنْـتَ نِـزَالُـهـا

ومِـكَـرُّهـا يـوم الـوغـى إن أدْبَـرَت
في الضّنْك عند الملتقى أبْطَالُها

وعـلـيـك مـن فـضْـلِ الإلٰـهِ كـنـاتَـةٌ
مـوقـوفَـةٌ أقـوالُـهـا وفِـعَـالُـهـا

وإذا الـوسـائِـلُ فـي الـكـرام تـقَـطّعت
واستنكَدَتْ عن وِصْلِها وُصّالُها

وتَـصَـعَّـدت رُوحُ الـسّـخـاءِ وجـسْـمُـه
عـالـتْـهُ فـي بـطْـنِ الـثّـرَى أجـبـالُـهـا

واصـلـتَ مِـنْـهـا مـا تَـقَـطّـعَ مُـحْـكَـماً
وأمَـعْـتَ جَـامِـدَهَـا لـمـن يـكـتـالُـهـا

وردَدْتَ لـلأجـسـامِ أرواحَ الـنّـدى
تـغـتـالُ عـنـهـا كـلّ مَـن يـغـتـالُـهـا

رُتَـبُ الـمـعـالـي مُـنْـذُ قُـلْـتَ أنـالُـهـا
جَـزَمَـتْ بـأنّ سـواكَ لـيـس يـنـالُـهـا

هـذا وراحتُكَ الـكـريـمـة أصْبَحَـت
أمُّ الـعـيـالِ وكُـلُّ كُـنْـتَـه عـيـالُـهـا
والأم تَـظْـفُـر بـالـمُـنـى فـي مِـلـكِـهـا
مـن كـلِّ مُـكْـتَـسَـبٍ لَـهَـا أشـبـالُـهـا
تـلـك الـيـدُ الـطُّـولـى الـتـي عـوّدتَّـهـا
كـيْـلَ الأيـادي عـذمـذمٌ مِـكـيـالُـهـا
تلك اليدُ الطُّولَى التي عن سيبها -
الـهـامـي الـنّـدى مـا كـفّـهـا عُـذّالُـهـا
تـلـك الـيـدُ الـطـولـى الـتـي لا تـأتـلـي
هـذا مـدى الـدهـر الـمـؤيّـدِ حـالُـهـا
وسـجـيـةُ الـكُـرَمـاء فـيـكَ مـنـوطَـةٌ
بـزوال نـفـسـكَ لا أظَـلّ زوالُـهـا
فـالـبـئـرُ مـا نـزفَـتْ غُـرُوبٌ قـعْـرَهَـا
إلاّ تـفـجّـر بـالـمـعـيـن زُلالُـهـا
والـتّـبْـرُ مـا ضَـرَمَـتْ بـلـفـحـةِ صَـيـقـلٍ
إلاّ وراقـك حُـسْـنُـهـا وصـقـالُـهـا
والعيسُ منك قد اشتَكَتْ من بذلِها
سُـقْـبَـانُـهـا فَـنـيـاقُـهـا فـجـمـالُـهـا
وبِـجَـنْـبِـهـا الـبـقـرُ اشـتـكـى والـشـاءُ
والـخـيـلُ الـجـيـادُ فـحـولُـهـا فـبـغـالُـهـا

هـذا لـذا ولـذاك ذا ولـتـلـك تـي
لا يـأتـلـي مـن بـذلِـهـا بُـذَّالُـهـا
بَـلْ لـم تـزَلْ بـرحـابِـكـم مـعـقـولـةً
لـمـنْ اجْـتـدى أبـداً يُـفَـكُّ عُـقـالُـهـا
وإذا تَـطَـفّـلَـتِ الـعـفـاةُ بـبـابـكـم
رَبـحَ الأيـادي مـنـكُـمُ تَـطْـفـالُـهـا
يا خـير من يـمشي على قدمٍ ومن
داسَ الـثَّـرى أقـدامُـه يـخـتـالُـهـا
هـــذاوه نِـــضـــوٌ غـــريـــبٌ لاحـــهُ
فـقـدُ الـكـرام سـواكُـمُ يـعـتـالُـهـا
ألـقـى عَـصَـا تَـسْـيَـارِه بـفـنـائـكـم
لـحـوائـج لا يـنـبـغـي إهـمـالُـهـا
جـمـلٌ تـلاذٌ هـيـكـلٌ ثـغـرت لـه -
الأسـنـانُ أربعُ واسـتـبـانَ كـمـالُـهـا
مغ نـاقَـةٍ من شـولِ أكـرمِ نـوقـكُـم
قـلّـتَ خـلال مُـرَاحِـكـم أشـكـالُـهـا

* * *

الشاعر عثمان بن حوالن الأنصاري يمدح أمير الأنصار اللود الأنصاري لحربه للفرنسيين

راحَ الـزمـانُ بـأمـرٍ مـبـرمٍ بِـمَـمَـم
مـا بـيـن مـبـتـدإٍ مـنـه ومـخـتـتـم
بـيـن الأحـبـةِ والأوطـانِ أو دِمَـنٍ
وفقدِ نـادى الكـرامِ الـسـادةِ الـنُّجُـمِ
ودارُ عَـزّة مِـنْ هـيْـنٍ إلـى فَـرَشٍ
وَبَـرْبَـرٍ روضـةُ الْـعَـربـاءِ والـعَـجـمِ
يا لائمي لا تلُم فالقلب محترقٌ
لو كنتَ تعلمُ ما في القلبَ من همم
وحقُّ جَفْني يُسيلُ الدّمْعَ من جزعٍ
والقلبُ للحزنِ والأوصالُ للسّقَمِ
والعينُ تدمَعُ من شهرٍ إلى سنةٍ
فما ارتَضى البثُّ بالدّمُوعِ دون دمِ

يـا قـائـمـاً بـجِـذَا عَـزَّه أعِـذ خـبـراً

عن منزلٍ بِجنَاب الهيْنِ منهدمِ

ومـعـهـدٍ قـسَـمَ الـفِـقْـدانُ أَرْبَـعَـةُ

بين الوحوشِ وبين الريح والدّيمَ

وكانَ من قبلُ وسْطَ الحي كِركرةٍ

مـوالِـعَ الـنـوقِ والأتْـبَـاعِ والـخَـدَمِ

وقـد أراق فِـرَاقِـي مـن دمـاء فـكـم

دم يُـراقُ بـغـيـر الـجُـرح والـكُـلَـم

وكـم حـلـيـمٍ شـديـد الصـبْـر تـيّـمَـه

بُعْدُ الفريق وطولُ البينِ والهِـمـم

حـيـاكِ يـا دارَ عَـزّ مـن هـنـاك حـيّـا

يهمي بمنهمرٍ في الروضِ مُبتسَمِ

عـن ثغرِ زهرٍ بنورِ التُّوز مبتهجاً

مـن مـورقٍ أنِـق الأوراقِ مُـلـتـثـمِ

حتى غدا كُلُّ نَجْدٍ في مَحَاجرِهَا

مُـخَـزّراً مـن أتّـي الـمـاءِ مُـنـسـجِـم

والـطـيـرُ تـغـرَدُ والأغْـصَـانُ لاعـبـةٌ

ضفادعُ الرَوضِ في النقيق من أمَـمِ

تـلـك الـفـتـاةُ الـتـي يـلـهـو بـهـا أحـدٌ

عن الـسـمـيـر وعـن أهـلٍ وعـن رحِـمِ

كحلاءُ في سِعةِ العينين واضحةٌ
لعساءُ في شفنيها حُوَّةُ الأدَمِ
عجزاءُ ممكورةٌ برّاقةٌ قلقٌ
عنها الوشاحُ وتَمّ الطّبْعُ في الكرم
كم من خليلٍ وزيرٍ مُصْعدٍ عُذُراً
فوقَ الجبالِ وبين البحر والأكَمِ
إلى ذَرَاهَا يزور مَنْ تأثّفَها
كأنها قريةٌ من كَثْرةِ الأمَمِ
تزداد للعينِ إبهاجاً إذا ذهبت
وتخرجُ العينُ من وجْهٍ إلى قَدم
وكم أحنُّ حنين الشاكلاتِ على
آثارها وحنينُ البُعْدِ كالعدِم
عساكِ إن متُّ في ذكراكِ متُّ على
تمَلْمُلٍ ما شَجَى صدر بمتّهِمِ
لمّا تذكّرتُ يومَ السّذْرِ نازلةً
مقيمةً خِذْرَهَا المضْرُوبَ في الخِيَمِ
ونظرةً سلبتْ قلْبي فَطانَتَهُ
شَجَا الفؤادَ بنارِ الوجدِ مضطَرِمِ
رُدّي بقيةَ روحِ فاتَ من رمقِي
يا ديمةً خَرجتْ في أحسَنِ الديَمِ

سحّارةُ الطّرفِ ترمي من محاسِنِها
حَبَّ الفؤادِ بسهمِ العين مُبْرَهِمِ
وارْثي لقلبي بما في سِحْرِ عينك مِنْ
حبائلِ آخذاتِ الرأسِ والقدمِ
ورُبَّ شوقٍ مذيبٍ لي إليكِ مَضَى
حتَّى أذابتْ به الأعضاءُ من ألمِ
وصفْتُ حالَكِ للعُشّاقِ فارتَفَعَتْ
أخْبارُ حُسْنِكِ في الفَيْفَاءِ والأُطُمِ
وتحت سقْفِكِ شخصٌ عنْ ظَواهِرِه
نورٌ كَبَهْجَةِ نورِ البدرِ في الظُّلَمِ
خَلْفَ الخمارِ جمالٌ قد تخامَرَهُ
حُسْنُ الطبائِع من حِلْمٍ ومن كَرمِ
عواطِلُ السّرْبِ ترعى في مراتِعِهَا
فريقُ عَزّةَ بين الشوقِ والهِمَمِ
وما رعى من هواها إذ تذكّرَها
إلا بدمْع على الخديْنِ منسجِمِ
كم من قتيل الهوى العذري في بلدي
وقد أفاق من الأحزانِ بالحُلُمِ
لما تصوّرها اللّعينُ في سَنَةٍ
له فهشّ وداوى القَلبَ من سقَمِ

حيّاك رَبُّ الورى في كلّ آونةٍ
بكلّ مكرُمةِ الأخلاقِ في الذّمَمِ
وأصبحَتْ في نساءِ الحيِّ ظاهِرةً
فوقَ اللّداتِ بحسنِ الخلقِ والشِّيَمِ
وفي الخدور بدورٌ قد تأثّفَها
أتباعُ صدقٍ من الأحرار والخدم
يمشين مشْيَ الظّبّاء عن حناجِرها
كواكبٌ من قلائدٍ ومن ضَرَمِ
كم من فقيهٍ نبيهٍ زاهدٍ ورعٍ
أصبَيْنَهُ وهَوىً وهَمّ باللمَمِ
لكن إذا طلعت شمسُ النهارِ فلا
تَرى النّجومَ ولا بدراً على الأُطُمِ
كم عاقِلٍ عاقلٍ رمَتْهُ فانفجَرَت
منْهُ عُروقُ الهَوى العُذْري منْ رِأَم
وقدْ تسلّيتُ عن تبريحي يا كَمَدي
بَعْدَ النّوَى بصِوَارِ الظبْى والدّيَمِ
ودِمْنةٍ نَسَفَتْ عَنْها الصبّا سُفعاً
كأنها خُطَطٌ عن أمْلَسِ الأدَمِ
لَثياً بلَئْي ترى الآثافي كامنةً
أو الجواذرَ من مورٍ ومن هَدَم

بيْنَ الأطوم طويلاً ما تعاقَبُها
سواهِكُ الريحِ والإعصارِ والرُّكَمِ
فبدَّلَ الأنسَ وحْشاً والمُنى كمداً
فما بها من طبيب السُّقْمِ والألَمِ
فبتُّ ولهانَ في رَبْعٍ تقسَّمَهُ
سربُ القطا وصِوَارُ الظَّبي مُنْهَدمِ
وكانَ من قبْل طال ما تكَرْكَرَهُ
مواكبُ الخيل والسُّعَاةِ والرُّئَمِ
وكُلُّهم لِذَرَى عَزَّ يُطَالِبُهَا
بنظرةِ العين أو بكلمةٍ بفمِ
وصيَّرَ الذهرُ ذاك شذراً مذراً
يا ليتني ذاك لم أشْهَدْه مِنْ أمَمِ
يا لائمي لا تلم والنصحُ يخبلني
والشَوقُ ألْبَسَنِيَ دِرعاً من السَّقَمِ
والبثُّ أمْرضَنِي والحزنُ أرّقني
والهمُّ أترَعَ مِنْ رأسي إلى قدمي
والبينُ أولهني والدهْرُ كابَدَني
بحمْلِ وجْدٍ قصيم الظهرِ من دَقَمِ
من بين عَزَّةَ والدموعُ تشهدُ لي
ما بيْن منهمرٍ مِنّي ومضطَرِمِ

تلك الفتاةُ التي علّقْتُها عَرَضاً
ما مثلُها في نساءِ العربِ والعجمِ
كم من فلاةٍ مُهيلٍ ظهرُها غَشِيَتْ
وجهي بأهوَالِ الجوِّ والشبم
فلا ترى العينُ إلاّ ما يخوّفُها
كالتُّرسِ في شبهٍ والبحرِ في طمَمِ
لكن ترى الوحْشَ في بحرِ الفلاةِ رَعَتْ
وجُدْجُداً بَدَلَ الحيتانِ والبَلَمِ
أمْسَيتُ فيها أمُجُّ البقْلَ من عطشٍ
إبّانَ قيظٍ مكانَ الماءِ والرّخَمِ
ولا أعاقِبُ عن ظهْرِ الفلاةِ سوى
سِرْبَ الظُّبَا وقطاً وهيقمٍ صَتَمِ
ورهمةٍ ملأت عينيّ من رشقٍ
وسْطَ الفلاةِ ولا أحسُّ مِن رَنَمِ
إذا تلألأتِ البروقُ فاندفعت
شئابُ القطرِ عن رأسي إلى قدمي
فألجأتني إلى الأشجار متّخِذاً
أَكنافَهَا بَدَلَ الأبياتِ والخيمَ
أَنَخْتُ وَهْمِي وما إن ينخ من تَعَبٍ
لكن لحمْلِ غرابيبِ من الديَمِ

تری الرواتك عن أعلى طريقتِها
ما بينَ مستتَرٍ عنِّي ومُقْتَحِم
كأنما فُلِقَتْ عنها ببَلْقَعةٍ
حناظِلَ القيْظِ أو جماجِمُ البَهَمِ
كأنّ أعناقَها كرأسٍ سائِفَةٍ
أفواهُهَا كصدوعِ النَبْعِ والوسَمِ
شُخْتُ القَوائِم لا مأوى لها أبداً
إلا الدِّهاسُ عن الأحقافِ والهَوَمِ
ترى الظليمَ تحاذيه نعامَتُهُ
يُلهيه آءٌ ومرعى الدوِّ عن أكَمِ
حتى إذا ما استوى عن ربْوَةٍ نَظَراً
وشامَ افْرُخَهُ وخافَ من رُكَمِ
فارقَدَّ من تحتِ عَرّاصٍ ويطرُدُه
سواهِكُ المورِ والإعصارِ والنَّسَمِ
تَتْبَعُهِ صَعْلَةٌ خَرْجَاء تَطْرُدُه
مَرًّا تُسَابِقه في الجرِي والثَّجَمِ
فكُلٌّ ما انحدرا في طَلِق شَوْطِهِمَا
تبادرا ماطِراً بالجري كالضَّرَمِ
لا يأمَنَانِ ذئابَ الدّوِّ أو غَرَقاً
إن أغْلَسَا دونَ زُغْرِ خُرّقِ التَلَمِ

والخرقُ دونَ بناتِ البيْضِ مُنتهبُ
كما تَنَاهبُ أسْدٌ ثلَّةَ الغنم
لا يذخران من الإيغال باقيةً
حتى تكادَ تبينُ الريش عن أُدُمِ
صَدْعتُها لِذَرَى عَزٍّ على جملٍ
وهم يُباري نسيمَ الأيْنُقِ الرُّسُمِ
يشكو الخِشَاشَ ومجرى النّسْعتين إذا
ما شدّه حَشَمِي بالكورِ والولَمِ
لا تُشْتَكَى عَثْرَةٌ مِنْهُ وقد قُطِعَتْ
به المفاوِزُ والفيافي بالسَّقَمِ
كأنه عاسجاً أو واسِجاً أبداً
وثْبُ المُسَحّجِ بين العصرِ والغَسَمِ
أمسى يسوقُ نحائصاً محملجةً
يرعى بهِن قُتَات البَقْلِ في اليَهَمِ
وبينما هو يلْهو في مآكِلِه
من الحناظلِ والتنُّومِ والعنَمِ
وَالحقْبُ تتْبَعُه في الرّعي لاعبةً
دهراً طويلاً وما سمّعْنَ من رَنَمِ
إذْ مقْنِصٌ بين حُقْيِهِ ومركَزِه
أَغْرَى به جوٌعاً في القُرب عن أَكَمِ

فارقَدّ من فَرقٍ بالجَزْي منحدراً
جَرياً تكونُ به الأحجارُ كالرِّمَمِ
وصاحبُ الصيدِ حيّالٌ لبُغْيَته
ألقَى أبَاهُ بذاكَ الكسب في القدمِ
مقزّعٌ أطلسٌ الأثواب ليس له
إلى الضّرَاءِ وإلاً الصيْدَ من نَعَمِ
يُغْرِي مهرّتَةَ الأشْدَاقِ ضاريَةً
زُرْقاً مُخَصّرةً من شدَّةِ الهَضَمِ
كأن راكِبَهُ حقْمٌ بمنحدرٍ
تخدِي بها دفَعَاتُ المورِ والرُّكَمِ
يَخدِي بمُنْخَرِق الأثواب مُنْصَلتٍ
لأجْلِ فَرْطِ ركوبِ الحرِّ والشَّهَمِ
أخي تنائِفَ والضُّبَّانِ وقعتُه
كحَسْوِ حقْم على الأنْشَاجِ والذّلَمِ
هاجت لها جوَّعٌ في الأيْكِ ضاَرِيَةٌ
شواربٌ مِنْ طَوَى الأجْوَافِ والقَرَمِ
من البُزَاةِ طويلاً ما تكركرها
في الأيكِ لطْخٌ من الأمطارِ في الدِّيَمِ
والصقْرُ ساجٍ إليها عندما وردت
فبادرتْهَا على الإيغالِ مِنْ أمَمِ

طارت إلى الجوِّ والبُزاةُ طالبةٌ
لها على ثُكَمٍ من شدَّةِ الوحَمِ
لا يذخرانِ من الإيغالِ باقيةً
حتى تكادَ تَفرّى الريشُ عن أُدُمِ
يا صاح عُذْ عن بكاك الدهر من كمدٍ
ولا تقولن على ما فات: واندمى
إذ لا ارتجاع لما قد مرّ من زمنٍ
بسفْحِ دمعٍ ولا التّغْدَادِ والثَكَمِ
وسلُ عنه لحوْزِ عالم ورعٍ
غطَمْطَم ملكِ العرباء والعجم
له منازل عِزٍّ مَن ألمّ بها
نَفَتْ عليه قتامَ الذُّلِّ والهضَمِ
لا يتّقِي في حذاءِ أرضِهِ أبداً
مَنْ استجارَ به من فَجَأةِ الدّقَمِ
خِرْقٌ توسَّعَ للعافين نائُله
كالجودِ في منَنٍ والبحرِ في هِمَمِ
والعلمُ سيرتُه والزهدُ حرفُته
والصبْرُ عادتُه عن جفوةِ الوجَمِ
ما إن أتانا بلاءٌ قد وقَفْنَا به
على شَفَا اليأس من هوْلٍ ومن عِظَمِ

إلاّ ابتَدَرْنا ذَرَاهُ نَسْتَجِيرُ بهِ
في صدمةِ الدهرِ أو في خيفةِ الهَشَمِ
كأن مَنْ خَشَّ رحَباً في منازِله
من شِدّةِ الخوفِ في رُكنٍ وملتزم
لئن مدحتُ كريماً غيرَة أضَماً
لكان معنًى لمغنَى القولِ والكلِمِ
لم تُلْهِهِ زَهْرَةُ الدنيا وبهجتُها
ولا التفاخُرُ بالأموالِ والحشَمِ
له الكراماتُ والأحوالُ شاهدةٌ
ذا الدافِعُ العَلَمُ ابنُ الدافِعِ العَلَمِ
لو أنطق الله وخشاً في مراتِعِها
لأخْبَرت بخصوصِ اللُّودِ بالكرمِ
وكم تغيّر عنه جاهلٌ سَفَهاً
وما تغيَّر أقوالي ولا شِيَمي
تَغساً لمن قال إنّي عبتُهُ حسداً
كبُرَ مقْتاً عليه الوزْرَ مِنْ دَقَمِ
قلتُ مقَالتِي لا بالخوفِ أو طمع
لكن أُحَصْحِصُ قولاً صادقاً بفمي
له رجالٌ كِرَامٌ لا مثالَ لهم
لكنهم نقضوا في العهدِ والذممِ

إذ كاشحوا وطن العرباء عن سَفَهٍ
واستوطنوا بلد السودانِ والبَرَمِ
واستأثروه عن الأوطانِ فاتّخذُوا
أعلاجَها بدَلَ العربَاءِ والرّجِمِ
الكاشحون لغدرِ الخِلِّ في حضَرٍ
القائمون له من شِدّةِ العَشَمِ
حتى إذا انصرفوا خاضوا مُعَايَنَةً
في هجْوِهِ ونَسُوْا وصيّةَ السَّلَمِ
وقد سبتْهُم بطونٌ في منازلِهِم
إلى المآكل تحت الروم من بَكِمِ
يعاقدون لئاماً في بلادِهِمُ
من شدّة الخوفِ أو من قُتْرَةِ الهَضَمِ
وكم أتى القُوتُ دارَ هاجِعٍ خَرِقٍ
كم جائلٍ خابَ في الخروجِ والثّجَمِ
إن كاشحوا ملكاً حَلاَحِلاً ورِعاً
والعالِمُ العَلَمَ بْنِ العالِمِ العلَمِ
لحوْزِ مُلْكٍ يُهانُ من تأثّفهُ
عند الإله من الأعلاجِ والخَدَمِ
فكم رأينا كريماً عالماً جعلتْهُ
دولةُ الكفر والأشرار كالوضَمِ

وكـم مـضَـتْ دُوَلٌ فـي اثْـرِهَـا دُوَلٌ
وكـم غَـدَتْ أمَـمٌ فـي آخـرِ الأمـمِ
تعصَّبَ العارُ بَعْدَ ما جلوا وطناً
بين الأحابيش والعزْبَاء والعَجَمِ
فـقـام سـيِّـدُ يـرومُ مـن عـمـايـتـهِ
أن يُكْشِفَ العارُ بالأقوالِ والكَلِمِ
لـن يـقـبـل الـلـه إلا خـالـصـاً أبـداً
مـن الأقـاويـل والأفـعـالِ والـحِـكَـمِ
والـحـقُّ تـصـدقُه الأفـعـالُ عـن أحـدٍ
والقولُ تكـذِبُهُ الأحوالُ عـن وجَـمِ
كـيـف الـنـجاةُ لـحُـرٌّ حـافـظٍ سـيَـراً
عـن الـقـرونِ وعـن عـادٍ وعـن إرمِ
وقـد تـبـأبـأ مـن أبـائـه ورِعـاً
سمحاً سديداً على الإسلامِ والذِّممِ
مـالـت بـه الـنـفـسُ والأقـدارُ غـالـبـةٌ
إلى الفرانِسِ من ظُـلْـمٍ ومن أضَـمِ
واستأثر الفخْرَ تحتَ الكُفْرِ عن فَرَحٍ
يوم القيامةِ بالترحيبِ والسَّلَمِ
ويـالـتـرفُّـهِ بـالـحـسـانِ فـي غُـرَفٍ
وبـالـتـفـاخُـر بـالأتـبـاع والـخَـدَمِ

وبـالـتـأنُّـسِ بـالأحـبـاب قـاطـبـةً
وكـم هُـنالِك مـن مُنًـى ومـن نِعَـمِ
ويْحَ أمِّه مَنْ غـدا لـلقبر فـي حَرَمِ
حَوْزِ الطواغيتِ مِنْ حُزْنٍ ومِنْ نَدمِ
سـوءُ الـتـأوُّلِ أضـلُ كـلِّ مـهـلـكـةٍ
ما قلتُ من شيء في الردعِ بالكلِمِ
والـفـخْـرُ من فـاخَـرَ الإخْـوانَ كُـلّـهـم
بالصبْرِ في العهدِ لا بالنقضِ في الذممِ
وقـد تـبـأبـأ سـيـدِ عُـصـبـةٌ ذهـبـتْ
بسُنَّةِ المصطفى والفرضِ والحِكَـمِ
لـهـم شـعـارٌ شِـعـارُ الـمـجْـدِ مُـتّـزراً
بـجـودةِ الـحـلـمِ والأخـلاق والـشيَـمِ
ومـا رأيـنـا كـريـمـاً مـثـلـهـم كـرمـاً
الـتـائـبـيـن مـن الآثـام والـلَّـمَـمِ
تـلـك الأبـاءُ لـهـم أعـمـالُـهُـم ولَـكُـمْ
أعمالُ قوم بدَتْ في الحالِ لا القِدَمِ
أمنْتَ يا سيْدِ من مَكْرِ الإلَه كمن
غـدا وهـاجـر دارَ الـكـفـرِ والـدّقَـمِ
إذْ كُنْتَ تُخْبِرُ مَنْ لاقيتَ من شيَعِ
أن لا تـخـافَ من الأنـصـارِ والـهُـشُـمِ

إذ صِرْتَ في حَرَمِ الإفرنْج متّقِياً
به ومتفخِراً بالنّقْضِ في الذُّمَمِ
مع ذاكَ تزعَمُ أنك في جماعتِنا
بنظْرَةِ العينِ أو بكلمةٍ بفَمِ
والفعلُ يُكذِبُ قول آفكٍ واجِم
والحالُ أصدقٌ من قولٍ ومن كَلِمِ
هل أنت في ثُكَمِ الجُهّالِ عن سفَهٍ
أو ناطقٌ بكلامِ الزورِ للحشَمِ
لو أنتَ تصدُقُ في فعْلٍ وفي كَلِم
لما استغثتَ بدارِ الكفرِ والبَرَمِ
لأن من لاذ بالمحروسِ منتصراً
كأنه منه بين الركنِ والحرمِ
ولا يهولُه دهرٌ يدورُ ولا
طردُ الأمير ولا تهديد مصطَلِم
فالمخلوقات لديه غيرُ ظاهرَةٍ
من الأحابيشِ والعَرْبَاءِ والعَجَمِ
حيث الجلالةِ مضروبٌ سُرادِقُها
محمدٌ خيْرُ من يمشي على القدمِ
والعرشُ والكونُ والأكوانُ بارزَةٌ
في وجهِهِ في رموزِ اللوحِ والقلَمِ

ذا الكاملُ الحسنِ والبحرُ المحيطُ غِنًى
زاكي المنازِلِ عَالي القدرِ والهِمَمِ
يا من يهاجِرُ دار الكفرِ أو دقماً
من السلاطين من جورٍ ومن أضَمِ
أخرجْ فإن بلاد اللهِ واسعةٌ
فيها مُرَاغَمُ ذي ذُلٍّ وذي ألَمِ
أرضاً فأرضاً وإخواناً بمثلِهِم
فالرزقُ أوسعُ في بَحْرٍ وعن يَهِمِ
لا تركُنَنّ إلى كُفْرٍ ولا وطنٍ
فالكفر آخِرُه يأتيك بالنّدَمِ
قد فَازَ من هَجَرَ الأوطان من بِدَعٍ
والخوفُ ممتزِجٌ بلحمِه ودمِ
ولا يصاحِبُ إلا زاهداً ورِعاً
زاكي المناقِبِ في فِعْلٍ وفي شِيَمِ
يا وَيْحَ من كانَتِ الأهواءُ تُسْلِمُه
إلى لوافِحِ نارِ الكفرِ والضّرَمِ
يريد مُلْكاً يُسَاقُ مَنْ تأثّفَهُ
يوم القيامةِ بالأغلالِ واللُّجُمِ
ويلُ أمِّهِ من هوانِ الرّهْطِ في سَقَرٍ
وكُلّهُمْ هالِكٌ في زلّةِ القَدَمِ

تأتي العقاربُ والحيّاتُ من فلَقٍ

يلسعْنَه فيصيرُ الحَرُّ كالشَّبَمِ

يُغَاثُ بالمهلِ والصديدِ في عطش

هوْناً ويأكلُ لَحْمَ الجسْمِ مِن هَضَمِ

فلا يَرى الدهْرَ إلاّ ما يخوّفُه

منْ شدّةِ الحالِ والأحزانِ والألمِ

فلا يعدّدُ ما في النار من جزعٍ

وكم هنالِك من هوْلٍ ومن نِقمِ

ربّي لنا ولمن ناجاكَ في سحَرٍ

يبكي بدمعٍ على الخدّينِ مُنْسَجِمِ

أغفِرْ فلا أحَدٌ يُرْجَى هنالِكَ في

بيت المقدّسِ في الأهوالِ والهمَمِ

وفي القبورِ وفي جِسْرِ الصِّراطِ وفي

جهنّم من شفيعٍ كاشفِ الدَّقَمِ

سواكَ ربُّ الورى ومن أذنْتَ لهم

من النبيِّينَ والأبرارِ في الأمَمِ

وللآباءِ وأهْلِ الدينِ كلّهِمُ

بجاهِ أحمدَ خيرِ ناطقٍ بفمِ

أغفرِ ولبِّ دُعائي بالإجابةِ يا

مُنَزّهِ السّمْعِ عن وقْرٍ وعن صَمَمِ

إن الفقيرَ الكسيرَ الفِكْرِ قد كثُرَتْ
بـه كـبَـائِـرُهُ فـضـلاً عـن الـلّـمَـمِ
كيف النّجاةُ لمن يُمْسِي ويُصْبِحُ في
بـحـرٍ عـمـيـقٍ مـن الآثـامِ مُـلْـتَـطِـمِ
إلا بــرحــمــةِ ربٍّ واســعٍ كــرمــاً
يعْفُو عن الذنْبِ بالإقلاعِ والنّدَمِ
إن لم تقُمْ بي إلَهي كلما اعترَضَتْ
لِيَ المصائِبُ لم أخْلُصْ من الوخَمِ
فامنُنْ عليّ بلُطفِ مِنْكَ يا أمَلِي
يا من يُصَرِّفُ ما يشاءُ في الأُمـمِ
وكـم دعوتك في الظلماء مبتهلاً
والـخـوفُ مـمـتـزجٌ بـلـحـمـنـا ودَمِ
من أجلِ ذنبٍ يهول مَن تكَرْكَرَهُ
بـكـثـرةِ الـرَّدِّ بـالأفـكـارِ والـهِـمَـمِ
أجِبْ دُعانا ولا تَشْمِتْ بنا أحداً
بـجـاهِ مـن جـاءَ بـالـقـرآن والـحِـكَـمِ
عالي المناقِبِ في فِعْلٍ وفي شِيَمِ
مـحـمـدٍ خـيـرِ خـلـق الـلـه كـلِّـهِـمِ
منّي الصلاة على أنوارِ رَمْسِكَ ما
ترنَّمَتْ ساجعاتُ الحقْمِ بالنَّغَمِ

* * *

قصيدة الشيخ أحمد البكاي الكنتي

يا صاحِ عُجْ بالْجِمَالِ
على الربوع البوالي
ديارَ سلمى قديماً
من الليالي الخوالي
غيداءُ جيداءُ رؤْدٌ
كالشمسِ عند الزوالِ
والنجم عند التسامي
والبدر عند الكمالِ
تجلو ثنايا عِذاباً
كأنّهنّ لآلِ
كأنّما المسك فيها
أو نفْخةٌ من غزالِ

بقرقفٍ إضفعيدِ
صِرْفٍ سُلافٍ زُلال
أو أن فيها إذا ما
تبسّمتْ في إنْكلالِ
لَمحاً ولَمعاً لبرْقٍ
في جُنْحِ ألْيَلَ طالِ
من خَلْفِ لُعْسٍ ظِماءٍ
تجري بعذبٍ زُلالِ
لَمَى عليها لذيذٌ
يَحفُّها من حيالِ
ترنو بعيني غزالٍ
وجيد أمّ غزالِ
من تحتِ فرْعٍ أثِيثٍ
وخفِ غُذافٍ جُفالِ
يُقِلُّها غصنُ بانٍ
تَهفوهُ ريحُ شمَالِ
على نقاً من كثيبٍ
في عوكَلٍ ورِقالِ
تلك التي تيّمتْني
في صبْوتي واكتهالي

وهـي الـتـي هـيّـمـتـنـي
في صـحّـتـي واعـتـلالـي
تَـسْـلُـو الـنـفـوسُ هـواهـا
فَـلَـسْـتُ عـنـهـا بـسـالـي
وإن خَـلَـتْ مِـنْ جَـوَاهَـا
فَـلـسـتُ مـنـهـا بـخـالِ
تُـحِـلُّ قـتـلِـي بـهـجْـرٍ
إذْ حـرّمـتْ لـي وصـالـي
ولـيـس ذا بـحـرامٍ
ولـيـس ذا بـحـلالِ
جَـنَـتْ عـلـيّ حـروبـاً
شـيّـبْـنَ فـيـهـا قـذالـي
لـم أجْـنِـهـا غـيـر أنـي
بـحـرّهـا الـيـوم صـالِ
يـلـومـنـي فـي هَـوَاهَـا
مَـنْ حَـالَـه غـيـر حـالـي
يـريـدُ عـنّـي حـيـاتـي
ونُـزْهَـتِـي بـانـتـقـالِ
فـكـيـف أهـجـرُ نـفـسـي
وكـيـف أَقـصِـلُ بـالـي؟

لا: ما يريدون منِّي
في ذاكَ غير المُحالِ
لا أرعوي عوضُ عمّنْ
أفدِي بنفسي ومالي
ومن أرى عِذْلَ نفسي
ولي يمينَ شِمالي
أودُّها وأحيِّي
وأصطفي وأُوالي
لكنها لا تُجازي
بالوَصْلِ غيرَ فِصَالِ
ولا ترى لمحبٍّ
في الحقِّ غير ملالِ
محبُّها وأخوها
ولِيْ كذا لا تُبالي
ولا تَرِقُّ لِشَكوي
ولا تَجِنُّ لحالي
ولا تردُّ سلامي
ولا تجيب مقالي
ولم تُعطّفْ لدائي
ولم تُصِخْ لسُؤالي

حسبي لنفسي شقاءً

من كل داءٍ عُضالِ

مديحُ أكرمِ عبدٍ

لربِّه ذي الجلالِ

محمدٍ خيرِ خلقٍ

في رِفعةٍ وكمالِ

اختصَّهُ الله عبْداً

في القَبْل قبل الأوالِ

وجاء في البعْدِ شيخاً

وسيِّداً للرِّجالِ

به نلوذُ جميعاً

في كُلِّ خطْبٍ جُلالِ

يقومُ يوم التنادي

مقام حَمْدٍ مُوَالِ

في هولِ تلك المجالي

في عُظْمِ ذاك المجالِ

مكلِّماً وشفيعاً

لربِّه المتعالي

رياسةٌ قام فيها

أبا العلاء المعالي

مِنْ بعدِ ما أسلَمَتْها
إليهِ أهْلُ الفَعَالِ
من آدمٍ ثمّ نُوح
إلى هَلُمَّ تَوَالي
فيكشِفُ اللهُ عنهُ
حجابَه للوصالِ
يقول: قل منك يُسْمَعْ
وسَلْ تنَلْ في السؤالِ
واشفَعْ تُشَفّع ألاذا
أعلى مقامٍ لعالِ
وذاكَ أعْظَمُ فخراً
وذاكَ أسنى منالِ
وكان أسري إليه
في ليلةٍ من ليالِ
وجاز فيها ارتقاءً
سبْعَ الطباقِ العوالي
يلقاهُ كل نبيٍّ
وملأكٍ باهتبال
بكلِّ رحْبِ اعتزازٍ
وكلِّ بِشْرِ اقتبالِ

حتى مضى فوق موسى

فقال والدمعُ جالِ

يا ربُّ هذا غلامٌ

وحالُه فوق حالي

ثمّ استمرّ رُقِيًّا

جبريلُ فيه يوالي

لمستوًى لم يصلْهُ

من قبْلِه ذو اتصالِ

حتى دَنَا فتدلّى

فكانَ بَعْدَ التّعَالي

في قابِ قُرْبِ التجَلّي

من قوسِ قُدْسِ الجمالِ

أوحى إلى عبدِهِ ما

أوحى بذاكَ القُبالِ

فَنَالَ ما نالَ مِنهُ

من كُلِّ نوْلٍ ونالِ

أعظِمْ به من منالٍ

أكرم به من نَوالِ

ما ليس يَبْدُو لعينٍ

وليس يجري بِبَالِ

ثم انثنى خيرَ عبدٍ
من عندِهِ في جَلالِ
مُكَرَّماً مُتَوَلَّى
بِحُبِّه والخِلاَلِ
وجاء منه رسولاً
بَرًّا أمين المقالِ
يتلو كتاباً عزيزاً
منْهُ عجيب المثالِ
فيه هُدَى كُلِّ شيءٍ
وعلمُهُ عن ضَلاَلِ
نُوراً مبيناً وفصلاً
لكلِّ خافٍ وجالِ
نُعْمَى لقومٍ وقومٌ
عليهُمُ كالنكالِ
أتى بخير كتابٍ
بخيرِ حُكم بِحَالِ
من ربِّه المتعالي
مولايَ خيرِ الموالي
سبحانه وتعالى
من واحدٍ متعالِ

فتابَعُوه فريقٌ
من خيرِ قومٍ وآلِ
وخالفُوه فريقٌ
إلى الوبا والوبالِ
فردٌ من صدَّ منهم
من كلِّ عالٍ وغالِ
بالقهْرِ والقَسْرِ حتّى
ذلُّوا له باعتمالِ
بالضابحَاتِ العَوادي
والضّابثَاتِ العوالي
والمرهقاتِ المواضي
والمرهفاتِ النصَالِ
بكفِّ أبْيَضَ أقْنَى
من هاشمٍ كالهلالِ
في منتهى كُلِّ حُسْنٍ
وكلّ حسنٍ جَمَالِ
يقدُّهُمْ بقَنَاهُ
في الحرب قدَّ النِّعالِ
كأنّهم منْهُ خوفاً
ورهبةً في القتالِ

أمــــات رالِ دهــــاهــــا
لــــيــــثٌ فــــنــــدّث بَــــرَالِ
يــغــزيــهــم خــيــر خــيــلٍ
جُــردٍ وخــيــرَ جِــمَــالِ
مــنــهــم فــتــاهُ عــلــيٌّ
وجــعــفــرٌ خــيــرُ آلِ
والــلــيــثُ حــمــزةُ مــنــهــم
إلــى الــهــمــام بــلالِ
إلــى إلــى كــل لــيــثٍ
ضــرغــامــةٍ ذي شِــبــالِ
مــجــرّب فــي الــمــغــازي
مــحــرّبٍ فــي الــنــضــالِ
مــجــانــفٍ فــي الــتــلاقــي
مــجــانَــبٍ فــي الــنّــزَالِ
إذا الــحــروبُ تــصــدّتْ
لــعــيــنــهِ فــي اشــتــعــالِ
ونــارُهــا فــي اســتــعــارِ
وجــارُهــا فــي اشــتــغــالِ
يــنْــبَــاعُ كــلَّ انــبــيــاع
يــخــتــالُ كــلّ اخــتــيــال

سيراً إلى الموتِ قدماً

سيرَ ظِماءِ العِجالِ

مشياً إلى الحرب قُبْلاً

مشيَ الجِمَالِ الثقالِ

يرى رضى اللهِ فيها

بنفْسِه غيرَ غالِ

يسمو على كلِّ نهدٍ

قهدٍ سلوفِ القذالِ

عوج اللّبَانِ طِمِرٍّ

طِرْفٍ شناحٍ طوَالِ

في كفِّه مشرفيٌّ

كالمِلحِ صافي الصّقّالِ

عضبٌ حُسَامٌ خُفافٌ

ماضي الضريبةِ خالِ

فشدّ إصراً وأسراً

للدّين بعد انحلالِ

وردّ ابليسَ قهراً

وديـنَـه لانسفَالِ

وأمْرَهُ لانسِلاخٍ

وجُنْدِه لانسِلاَلِ

وأمْـــرَه لانــــخـــزالِ

ونـــضْـــرَهُ لانــــخـــذالِ

تــدبــيــرَ عــبــدِ نــبــيٍّ

بــديـــنِــه مــتــبــالِ

لـــربِّــه مـــتـــولٍّ

لــنــصــرِهِ مــتــوالِ

قــد بــشّــرَتْــنــا بــهــذا

مــنــه الــقــرون الــخــوالــي

فــي كــلِّ عــصــرٍ وقــومٍ

ذكــرٌ لــه غــيــرُ بــالِ

يــتــلــوه كــلُّ نــبــيٍّ

لــكــلِّ تــالٍ وتــالِ

هــذا وقــد كــان فــيــنــا

وهـــابَ مـــالٍ ونـــالِ

أجــدى وأجــودَ كــفًّــا

مــن وابــل مُــتَــتَــالِ

جَــوْنِ الــرّبَــابِ رُكــامٍ

جــوْدٍ مــسّــحُ الــعــزالــي

أعــطــى مــن الإبــل ألــفــاً

ونِــضْــفَــه غــيــرَ كــالِ

فــي بــعــضِ يــومٍ ولاءْ
أو فــردٍ يــومٍ بــطــالِ
مــن كــومِ عــيــسٍ هــجــانٍ
ســلائــبٍ ومــتــالــي
إلــى ســوى ذاك مــمّــا
لــيــسَــتْ تــعــدُّ الأمــالــي
مــا قــال: لا قــطُّ لــكــن
بــذلٌ بــغــيــرِ مِــطَــالِ
عــطــاء مــحــضٍ كــريــم
مُــحــضٍ العُــلا والــطِّــيــالِ
يــا ســيــداً لــيــس يُــحْــصــى
مــديــحُــهُ فــي الــمــقــالِ
ولــم يــكــن فــي الــبــرايــا
كــمــثــلِــه مــن مِــثــالِ
إيــاكَ حــمــدَكَ أعــنــي
بــمــدحــتــي وســؤال
ومــنــكَ أطــلــبُ سُــؤْلــي
فَــبُــلِّــنِــي بــبــلالــي
فــلــيــس مــثَــلــك خــلــقٌ
فــي الــحــالِ أو فــي الــمــثــالِ

حـتـى تـعَـمَّ جـمـيـعـي
مـنـكـم بـأسـنـى نـوَالِ
فـي كـلِّ خـيـرِ مـرادٍ
وكـلِّ نـول نـوالِ
يـا ربّـه اجـعـل بـه لـي
وسـيـلـةً لاتـصـالـي
يـا ربِّ صـلّـي وسـلّـم
عـلـى الـنـبـيِّ وآل
مـا ألّ بـارِقَ غـيـثٍ
وانـهـلّ وادقُ خَـالِ
الـحـمـدُ لـلـه ربّـي
ذي الـعـزة الـمـتـعـالِـي

* * *

قصيدة الشاعر سيدي عبد الله ولد أحمد دام(*)

أصـابـتْ بـيَ الأيـام أيْـمَـا وأيّـمَـا
فـيـا هـيّـمَـا لـي مـن نـوايَ وهـيَّـمَـا
نـشـأتُ بـأرضٍ لا أودّ بـأهـلـهـا
أعـزُّ أُنـاسٍ فـي الـبـلاد وأكـرمـا
وها أنـا أسعى بين نـاسٍ تـخالـني
لـديهم إذا خاضوا الأحاديث أبكما
خـليـليّ ما ضاق الـصـدور لـغـربـةٍ
كـغـربـةِ بـادٍ لا يـرى غـيـر أعْـجَـمـا
ولا التهبت ذكرى صـديـقٍ كـمـاجِـدٍ
تُـعَـدُّ لـديـه ريـبـة الـخِـلّ مـأتـمـا

(*) توفي الشاعر عام 1854.

يَرُدُّ على الندمانِ بالكأسِ مثلَها
وأيّ مجالٍ خُضْتَ فيه تقدما
ألهفي على أمثالِ ذاك وإن لوى
بهم زمنٌ قد عزّ أن يتصرّمَا
ألهفي على كل ابن بيضاء حرة
إلى واضح الخدّين يُنمى إذا انتمى
ذكيّ الحجا حلو الشمائل لم يكن
بليداً إذا خيض الحديث تَلَغْثما
ولا طائِشاً من نَوْكِه ليس يهتدي
إلى أين يرمي ذو النّباهةِ إن رمى
ولا ذا لجاجٍ لم تكد لشقاقه
وإن لم تقل إلا سلاماً لتَسْلَمَا
فهذا الذي ما شاب شوبٌ خلاله
سقتني النوى في نازحِ الأرضِ علقمَا
عليَّ إن أدانيَ الأهْلَ سالماً
إله الورى إطعام ستين مسلما

* * *

قصيدة الشاعر سيدي عبد الله
ولد أحمد دام

ألا ليت شعري هل أراني بجيرة
تضمنها من موحشات الفلا نبْكُ
متى شئت مرأى الربرب العين عنّ لي
ولم يُبْدِ للعينين قصرٌ ولا فلك
وهل يطرب السمع الأذان وقد نأت
نواقيس منها كادت الأذن تَسْتكُّ
وأعناق موشي البروج مشيدٌ
طبأ اطربونا منه ما رفع السمك
زخارف تهوى أن ترى العين منظراً
سواها ويطبو حرصها النفس والترك

أيا رب أخرجني من القرية التي
تظاهر فيها جحد رسلك والشرك
لحاجة مقضي اللبانة مسلم
فإنك رب العزة الفرد لا شك
فيا رب هل إلا لك المجد والغنى
دواماً وهل إلاّ لك العزُّ والملك
فيسّر وعجّل من قضاء لبانتي
وبارك فكم أشكيت قبلي من يشكو

* * *

قصيدة الشاعر محمذن الفغ الجكني(*)

واهاً لمرضى رهانٍ في سجلماسي
نائي المؤانس والعوّاد والآسي
واهاً لها من حشاشاتٍ يساوقُها
تنوا جسوم إلى تصعيد أنفاسِ
ومن عظامٍ وأشلاءٍ ممزقّة
كأنما لبثت حيناً بأرماس
ما كان أطول أيام على حسنٍ
وصحبةٍ ظلتها منهم على ياس
كأنما شربوا فيها وما شربوا
عصارة الكرم بيسان أوراس

(*) هذه القصيدة قالها الشاعر في وفد الحجيج الشنقيطي الذي أصيب بمرض الجدري عند مروره بالمغرب.

صهباء طاف مهينم اليهود بها
دبّابة في عظام الظهر والراس
سقاهُمُ الجدري كأساً بها شرقوا
تفديهم النفس من شرب على كاسِ
من كل جَلدٍ على الضّرّاء مصطبرٌ
يقسو إذا لان من ضُرائه القاسي
يصحو المريض وينسى من معاهِدِه
يوماً وما هو بالصاحي ولا الناسي
تهتز منهم ذماءٌ كلما سجعت
خطباء تبعث ما يألو له الآسي
تبكي لها أخر أبدانهن كما
خط الزبور يهوديّ بقرطاسِ
يا بُعْدَ منهم حلُولٌ قاطنين على
عدّ تحفّ بدور منه أدراس
أرسوا على كل نجد من محاضره
خيماً مثابة أضيافٍ وجلاّس
يلقون للضيف ما ألقى مراسيهِ
منها مراسي أوتادٍ وأمراس
حتى تهبّ عن أيسارِ الخيام صباً
تنحلُّ منها عزالي كل عرّاس

حتى إذا انجدل العامي وانتسجت
من وارقِ النبت أجناسٌ بأجناس
حلُّوا عوالي أنجادٍ على نُطف
زرقٍ دموع ملثّ الودق وجّاس
ما زال من معصرات الدلو يسكبها
على الأباطح فيضاً غير إبساس
على بطاحِ فلاةٍ لا أنيس بها
إلا مراويد آرامٍ بأكناسِ
ترتاح مغزلة منها لمغزلةٍ
من أم درّاح أو من أم خنّاس
كأنَّهُنّ عذارى بين أحوية
ترتاح منهن ميناسٌ بميناسِ
حتى غدت مثل حجر الضب واحتملت
منها السيول جماهيراً لأجناس
وأضمرت نُطَفاً منهن وابتسمت
عن ثغرٍ كل شنيب الثغر نوّاس
كأنه ونداها منه منتشرٌ
زجاجةٌ نُثِرَتْ من زيت نبراس
أحوى أغر تحاماه الرماح فلا
يدعو النفوس له تزيين وسواس

إلا ظعائن من جاكان ترتعه
لا عن ذمامٍ ولا تجساس أحراس
لا بل مهابة ساداتٍ إذا اختلفَت
أهل النوادي وآسادٍ لدى الباس
غيظ العدى ورضى المستنجدين إذا
هبّت رياح الصّبا إدبار عسعاس
تغدو عليها المتالي من منازلهم
نثر الدراهم من أفواه أكياس
شولٌ تريع إلى بيضٍ معطفة
طيّ الأهلّة في ألوان كراس
سودٌ حقائبها من طول ما نضجت
منها توالي أبراجٍ وأقواسِ
وترتعيه حواليها مؤيّلة
من الهنيدات لا أذواد مفلاسِ
فيها الحواني وأمّات الرباع سدًى
لا من صرارٍ ولا من زجر بسباس
كومٌ تروح وتغدو فيه من كثب
تأوي إلى خيمَ أرفاضٍ وسُوّاس

* * *

الشاعر ابن أحمد يوره(*)

قف بالربوعِ التي بالخط أدراسا
لا عار في وقفة فيها ولا باسا
تهدي إلى ذي الهوى من نشر ساكنها
بعد التقادم أنفاساً فأنفاسا
كانت سروراً وأمست وهي محزنة
والدهر من صرفه ما سر إلا سا
لا تعذلوني وواسوني بأدمعكم
فأفضل الصحب عند الخطب من واسى
وأظلم الناس من يهدي الملام إلي
من لم يقاس من الأشواق ما قاسى

(*) ديوان أحمد يورة، مخطوطة مكتبة المؤلف.

من لـمْ يَرَ الـخط مـمطـوراً وساكـنـه
فـإنـه مـا رأى الـدنـيـا ولا الـنـاسـا

* * *

الشاعر ابن أحمد يوره

يا صاح هذا غراب البين قد صاحا
وكاد يفصح بالتوديع افصاحا
واصبر الناس من رامت أحبته
فينا فما وال من شوق وما واحا
أقول للبرق بعد النوم إذ لاحا
يحدو ركاماً هزيم الودق سمّاحا
يا برق غادِ خيام اللاء عن كثبِ
يردن ماء لدى (السياح) سيّاحا
فيهن من تيمت قلبي بمبسمها
فصار يعتقد الإفساد اصلاحا
وقلت للريح إذ هبّت على مهلٍ
تهدى نسيماً بريّ الوردِ فوّاحا

يا ريح أحييت أرواحاً ولا عجب
فـربـمـا أحـيـت الأرواح أرواحـا

* * *

الشاعر ابن أحمد يوره

بكاء حمامات تغنين بالأمس
يرد قلوب المرعوين إلى (الدكس)
بكين لأيام بكيت لمثلها
فأصبحن من جنس وما هن من جنسي
يذكرنني عهداً قديماً ومعهداً
أحب إلى نفسي لياليه من نفسي

* * *

الشاعر القاضي محمد يحيى بن محمد الدنبجة(*)

سقى مربع العوجاء أرمية غزر
وإن يك من عرفانه عزب الصبرُ
عرفنا بقايا آيه بعدما جرت
وجرّت عليه الذيل صيّفَة كَذْرَ
رعى الله أهلاً قد تصرم ودهم
وروّى بلاداً قد أقاموا بها القطر
ولا زالت الأزهار تنمو على الربا
إلى أن تروق العين أزهارها الخضر
وقفت به العيس المراسيل برهة
أسائله أين الملاعب والعصر

(*) بحث عن الدنبجة، جامعة أنواقشوط.

فصعّد أنفاسي بقايا رسومه

وأجرى دموع العين انجادّه الحضْرُ

وما كنت أحجو أن تثير بلابلي

ديارٌ محيلاتٌ ولا منزلٌ قفرُ

إلى أن أثارت فارط الهم والأسى

ديارٌ محيلات تضمنها الكدر

ديارٌ بها تصفو المودة والصبّا

وأيامها بيضٌ تجلى بها الدهر

غنينا بها لا نختشي الغدر والجفا

ولكنها الأيام ديدنها الغدر

سقاني هواها الصّاب والصبر أزمناً

يَلذ بها صاب الصبابة والصبرُ

فهل بعد طي الدهر نشر وصالها

وطول أطّلابي ما عهدت بها نشرُ

يقول خليلي ما تعانيه من أسى

وبِتّ تخلّص منه يصفُ لك العمر

ودع عنك وصف الغانيات فإنه

يثير أموراً قد يضيق بها الصدر

ولا تك مرتاحاً بريحانة الظبا

ودمية محراب لها بشر نضر

ولا تطرها وصفاً فإن زمانها
تقضّى ولم يُقْبَل من المعذر العذرُ
فقلت له إني جدير بوصفها
ويقصر عن أوصافها النظم والنثر
فما عذبات البان أخضلها الندى
وريح الخزامى واليلنجوجُ والخمر
باطيب منها آخر الليل نكهة
أو أعذب من رشقٍ لها ضمه الثغر
ولا الفنن الغض النضير يفوقها
بهاءً وليناً يوم أسلمها الخذْر
لها من ظباء الرمل جيدٌ ومقلة
ومن بابلٍ ما ضرنا قبلها السحر
ولا ليل إلا ليل فرع سراجه
جبين عراني من ملاحته الذعر
ولكنما الحسناء مية صدني
عن أوصافها المختار طه الهدى البر
جزيل الندى رحب الجنان إذا دهى
من الدهر داهٍ منه ينكسر الصخر
فحقُّ له في الوصف من كل واصف
ولكنما الأوصاف مسلكها وعر

وما هي إلا لمحة البرقِ شامها
شآم فهاجته سحائبها الغر
فلم يحكه المرجان والدر بهجة
ولا لؤلؤ الغوّاص والذهبُ النضرُ
هو العروة الوُثقى هو الجود والجَدَا
وما صدّه عن هديه المنتقى مجر
وأرسله الرحمن للخلق رحمة
بشيراً نذيراً فاضمحل به الكفر
عليه إلٰه العرش أنزل ذِكره
وقال له بلّغ وأيّده الذكر
وقد بلّغ الهادي الرسول رسالة
من الله مأموراً بها زانها الشّذر
وبيّن أحكام العبادات كلها
كحكم صلاةٍ أو زكاة إذا تعرو
وصوم وحج والقواعد كلها
وما يقتضيه النهي منها أو الأمر
فلولاه لم تخرج نتائج فكره
وما عُلِم التقسيم والعدل والكسْرُ
ولا قصر إفرادٍ تبيّن حكمه
ولا قصر تعيين به عُيِّن القصر

وما علم المنطوق نصًّا وظاهراً
ولا اللحن أو فحوى الخطاب ولا الحصر
وما علم التجويد زيد بن ثابت
ولم يكثر التحديث في صحبه الحِبر
وما اختص في فهم القضايا وفصلها
أبو حسنٍ نعم الإمام الرضا البحر
وما علم المرجوح والراجح الذي
تكون به الفتيا إذ قدّر الأمر
فسائل به بدراً حُنيناً وخيبراً
وسائل بطٰه الفتح إذ جاءه النصر
يخبرك عن طٰه حنين وخيبرا
وتخبرك عن طه وأصحابه بدر
هنيئاً لطه يوم بدر وحزبه
لدن قاد جيش الكفر نحوهمُ عمرو
فمد بآلاف الملائك يومه
يقودهم جبريل سيماهُمُ زُهر
وكان به بشر وبشرى لدينا
ولم يبق للسبعين من جيشهم ذكر
ومن جيشهم سبعون أسرى فلم يزل
بهم يستحن القتل بالسيف والأسر

وفـي أُحـدٍ سـبـعـون نـالـوا شـهـادة
من أصحاب طٰه حبذا النفر العفر
فـمـنـهـم شـهـيـد الـلـه حـمـزة عـمـه
أعـدّت لـه أثـواب سـنـدسـه الـخـضـر
وسـائـل بـه الأحـزاب لـمـا تـألـبـوا
عـلـى شـرهٍ واحـتـد مـنـهـم لـه الـشـرُّ
فـضـاربـهـم فـي الـزحـفِ كـل مـدجـج
تُـديـن لـه الأعـداء خـالـيـة سـمْـرُ
وإطـعـامـه ألـفـاً بـخـبـزة جـابـر
من أعظم اعجاز يحار به الفكر
وضـربتُه الـصـخْـر الـذي صـار أهـيـلا
بـصـعـواه فـي خـنـدق أمـرهـا أمـر
وقـد قـاتـل الأعـداء آل قـريـظـة
فـتـم لـه عـنـد الـمـكـافـحـة الأمـر
وحـكّـم في أبـنـاء مُـضـطَـلَـق الـظُّـبَـى
وفاجأهم جيش يلين به الصخر
وطاف بأهل الطائف الغدر فارعووا
عن الغيّ حتى لم يكن منهم غدر
وحـاصـر أبـنـاء الـنـضـيـر لـغـدرهـم
وأجـلاهُـمُ عـن طـيـبـة أنـهـم غُـدر

وإن كان فيها أعجب الحمق كثرهم
فلم يغن شيئاً عنهم ذلك الكثر
وقرر صلحاً بالحديبية التي
بها تمّ نصر الله واستكول الأجر
وأنزل فيها الله سورة فتحه
وفي بيعة الرضوانِ من قبلها سرٌّ
وقد نصر الله الرسول بفتحه
لمكة حتى لاح من ليلها فجر
وسارقةٍ فيها أتته وحدَّها
بقطع يدٍ فالحد من ذنبها جبر
إقامة طٰه الهاشمي وصحبه
بمكة بعد الفتح أيامها عشر
ويوم حُنين لم يفِر نبيّنا
لدن رشقته من هوازنة السمر
فشن عليهم حملة هزموا بها
وولُّوا على الأحقاب يحدوهم الذعر
ونادى بأعلى صوته فأجابه
ليوث من الأنصار يوم الوغى صُبر

وسُـمَّـت لـه شـاة بـخـيـبـر أعـطـيـت
لـه مـن ذراع الـشـاة قـد جـاءه الـخـبْـر
وقـد نـال مـنـهـا نـهـشـة أثـرت عـلـى
ثـنـايـاه فـالـلـه الـحـفـيـظ لـه الـبـر
وقـد قُـتـلـت تـلـك الـيـهـوديـة الـتـي
بـأكـلـتـهـا قـد مـات صـاحـبـه بـشـر
إذ اخـتـاره الـرحـمـن مـن آل هـاشـم
كـمـا قـد روى الـطّـبـران في الأوسـط الـصـدر
وهـاشـم مـن نـضـر تـخـيـر شـخـصـه
كما اختير تحقيقاً من العرب النضْرُ
كـمـا اخـتـيـر مـن أبـنـاء آدم عـربـهـم
ومـن خـلـقـه أبـنـاء آدم ذا الأثـر
فـكـان خـيـاراً مـن خـيـار فـحـبـهـم
بـحـب رسـول الـلـه أمـرٌ لـه جـذرُ
وأبـغـضـه مـن أبـغـض الـعـرب الـذي
لـه مـبـغـض لا شـك مـرجـعـه كـفـر
وأنـت الـذي فـي الـذكـر أثـنـى إلـهُـنـا
عـلـيـك فـلا نـظـم يـفـيـد ولا نـثـر

ألا يا رسول الله أنت شفيعنا
لدى الله يوم الحشر إن عمّنا الحشر
وأنت الذي أعطيت حكماً وحكمة
وأنت إمام المرسلين وذا فخر
وأنت الذي أبقيت فينا شريعة
مطهرة بيضاء وسعى له الصدر
تمثل آداباً وأخلاق أمة
وصدقاً وبراً حبذا الصدق والبرّ
وعدلاً وإحساناً وأحكام أسرة
وما يقتضيه الحِل منها أو الحظر
مدحتك يا خير الأنام وحاجتي
تُزال به عني الجهالة والخسر
وتنقاد نفسي بالعناية للتقى
إذا طمحت واغتالها الجهل والفقر
وإن كنت ذا جرمٍ ووزرٍ فإنما
بمدحك تنحطُّ الجريمة والوزر
فذي بنت فكر تبتغي المهر منكم
مبتلة حسناء فتانة بِكْرُ

فزُمّت عن الأكفا سِواكم تكبّرا

ولم ترض إلا أن يُساق لها المهر

لتطلب مهر المثل منكم ومهرها

شفاعتكم والفوز إن ضمني القبر

وإصلاح قلبي والسعادة في غدٍ

وفوزي برضوان من الله والستر

سلام على المختار ما هبت الصبّا

وما غرّدت ورقاء وما طلع البدر

* * *

الشاعر امحمد بن الطلبة اليعقوبي(*)

سرت الجنوب ولاح لي برق
صوت الخليج فعادني أرق
يخفو فيطربني وليس سوى
خفق الفؤاد كخفقه خفق
فكأنما تحدو بوارقه
خيل تجول جَلاَلُها بلق
قد لاح مستحراً فقلت له
رأس الذريع أيها البرق
فاسْق المقيلة فالطويلة فالإ
فلاج حيث تصرم العرق

(*) كتاب الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

جاد الذريع ذو جدّى همرٌ
يرويه لا رنق ولا طرق
يا حبذا دوح الذريع ذي
الظل الظليل ورملُه البلقُ
بل حبذا عينٌ تقيّله
بيض الترائب خرَّدٌ عُتق
يعكفن ضحواً في مكانسه
فطريقهن لفيئه دعقُ
حتى إذا ما الشمس قد جنحت
واجتاب جلباب الدُّجى الأفق
رجعت تجرُّ الرَّيط رائحة
للطيب من أردانها عبق
وتروح عائشُ بينهن كما
قد ذرّ بين سحائبٍ شرقُ
رقراقةٌ جيدانةٌ أنفٌ
للزعفران بنحرها شرق
لم تعدُ عشراً واثنتين مضت
وسحابها عن تربها العتق
تجلو ثماناً هل رأيت بنا
تِ الغيث ويك لظَلمها برق

وكـأن ريـقـتـهـا إذا وسـنـت
صـهـبـاء أنـحـل جِـرْمَـهـا الـصـفـق
وكـأن ريّـاهـا إذا نـشـأت
نـشـر الـخـزام جـلابـهـا الـودق
أبـصـرتـهـا مـغـتـرة فـكـأن
هـتْـكُ الـسّـقـاف مـعـابِـلٌ زرقُ
راحـت ورحـت سـلـيـمـةً وصـبـاً
أو مـثـل مـا مـن يـفـعـلِ الـعـشـقُ
إن لـم يـكـن سـعـد الـسُّـعـود إذاً
فـلـه الـسـعـودُ جـمـيـعُـهـا أفـق
كـم دون عـائـش قـد تـعـرّض مـن
فـجٍّ تُـصـيـب أفِـجّـه عـمـقُ
هـل تـبـلـغـنِّـي دارَهَـا أُجُـدٌ
زيّـافـةٌ فـي مـشـيِـهـا خُـرُقُ
تـغـتـال أعـمـاقَ الـفـجـاج إذا
أَمـسـى تـغـوّل غَـوْلـة الـخـرق

* * *

الشاعر امحمد بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي المعروف بابن الطلبة(*)

تطاول ليل النازع المتهيج .
أما لضياء الصبح من متبلج

ولا لظلام الليل من متزحزحٍ
وليس لنجمٍ من ذهابٍ ولا مجي

فيا من لليلٍ لا يزول كأنما
تُشَدّ هواديه إلى هضبتي أجِ

كأن به الجوزاء والنجمَ ربربٌ
فراقدها في عُنّةٍ لم تُفَرّجِ

وتحسب صبيان المجرةِ وسْطَها
تناوير أزهارِ نبتن بهجهج

(*) كتاب الوسيط.

كأن نجوم الشعريين بملكها
هجائن عقرى في ملاحب منهج
فبات يُماني الهم ليلي كأنه
ببرحِ مُقامِ الهمِّ في أضلعي شجِ
فلو كان يفنى الهمُّ أفنى مِطالُه
همومي ولكن لَجّ في غير ملجج
إذا ما انتحاها مِنْهُ قطْعٌ سمت له
أفانينُ همٌّ مزعجٍ بعدَ مزعجِ
أعنى على الهمّ اللجوج المهيّج
وطيفٍ سرى في غيهبيّ مُدَجْدَجِ
سرى يخبِطُ الظّلماءَ من بطن تيرسٍ
إليّ لديّ ابريبير لم يتعرّجِ
فلم أرَ مثل الهمّ همًّا ولا أرى
كليلة مسرى الطيف مُدْلِجَ مُدلِجِ
وذكرة أظعانٍ تربّعْنَ باللِّوى
لوى الموج فالخبتين من نعق دُوكج
إلى البئر فالحواء فالفُجّ فالصُّوى
صُوى تَشِلَ فالأجوادِ فالسفحِ من إجِ
تحُلُّ بأكنافِ الزفال فتيرسٍ
إلى زيز فالأرويتين فالأعوجِ

إلى أبلقي ونكار فالكربِ ترتعي
به حيث شاءت من حزورٍ وخُندجِ
تربعها حتى إذا ما تنجنجت
جوازئها تعدو إلى كل تولجِ
ومَرّت على الظهران من وهَج الحصا
جنادبُها من لافح متوهّجِ
بيومٍ من الجوزاء تشوى سمومه
جلودَ حواني الرّبْرَب المتولّجِ
وغرّدَ مُكّاء الأخرةِ بالضحى
تغردَ منزوف الشروب المزرّج
ولفّت نصي الليف هيفٌ تسوقه
ونشّت تناهي غيثها المتبعّجِ
وزفّتْ إلى الأعداد من كل وجهةٍ
أعاريبها من كل صرمٍ منجنج
ونادى مُنادي الحي مُنْسياً وقوضوا
نضائدهم يا هاديَ الحيّ أدلج
وقُرّبتِ الأجمالُ حتى إذا بدت
نجوم الثريا في الدجا كالسمّرج
تكنّسن أحداجاً على كل ناعجٍ
عَبنٌ بأنواع التهاويل مُخدّجِ

من القُمعِ أو من نحرِ نكجير يمّمتَ
معاطن جلوى لا تريع لمن وجي
جواعِلَ ذات الرمت فالواد ذي الصفا
يميناً وعن أيسارها أم هودجِ
وتزورُّ عن ذي المُرِّ سيط فورّكت
لِمُسي ثلاثٍ خُبَّه لم تعرّجِ
وصبّحن جلوى طامي الجم وارتووا
ولم يُنْزِلوا عن هودجٍ خدر هودج
وقالوا الرحيلُ غُدوةً ثم صمموا
على مدرجٍ عوْدٍ لهم أي مدرجِ
أو احتملت من صُلبِ لِخرَيْش تنتحي
رُغيويّة الأملاح لم تتلجلج
أو السهبُ سهبِ التوأمين فغلّست
بواكرُها والصبْحُ لم يتبلّج
ومرّت على قلب الظليم كأنها
خناطيل زوّزت من نعامٍ مهيّج
وأمسى على كرِّ المُزَيريف منهُمُ
لكاكٌ كضوضاء الحجيج المعجعج
ومنهم بأوشالِ الثُّديّ منازل
وحيّ على أوشالِ هضبِ الأفيرجِ

منازلُ قد كان السرور محالفي
بها هي عندي بين سلمى ومنعج
ألا ليت شعري هل إليهن عودة
وهل أنا من غَمّ التنائي بمخرجِ
وهل لي في أودائها من معرّسٍ
وهل لي في أطلالها من معرّج
فإما تريني خَمّرَ الشيبُ لمّتي
وأصبحتُ صنواً عن شبابٍ مبهّج
فيا رُبّ يومٍ قد رصدت ظعائنا
بأبطح برت بين قوزٍ وحشرج
ظعائن بيضٌ قد غنين بنضرةٍ
تروق على غضٌ النضير المبهّج
ظعائن يُنميها إلى فرَعِ العلا
لعامِرِ يِعلى كل أزهَرَ أبلجِ
عليها سموطٌ من محالٍ مُلوّبٍ
من التِّبرِ أو من لؤلؤٍ وزبردجِ
يُفَصّل بالمرجانِ والشّذْر بينه
وقد غصّ منه كل حجل ودُمْلُجِ
ظعائن لم تألف عصيداً ولم تبتْ
سواهِرَ ليلِ الجَرْجِسِ المتهزّج

ولكن غِذَاها رِسْلُ عوذٍ بهازرٍ
مورّثةٍ من كل كوماء ضِمْعَج

معودةٌ عقراً وبذلاً كرامُها
لضيفٍ وعافٍ من مقلٍّ وملفَجِ

مراتِعُها مرعى المهى ورباعُها
تُلاعبُ من أذْراعِها كلّ بحزجِ

ويُحدجْن مما قَدْ نجلْنَ نجائباً
نواعج أُدما من نجائب نعّجِ

ويَحلُلْن منها كل ميثاء سهلةٍ
وأجرع سهلاً بالحيا متبَرّجِ

فما أنْسَى لا أنسَى الحدوجَ روائحاً
من أودية البطحاء فالمتموّجِ

عوامِدَ للسطلين أو هضبِ مادسٍ
نواكِبَ عن وادِ الخليج وعفلج

يُعَالَيْن من عَقْلٍ ورقْم منمّقٍ
ويُسْدِلْن حُرّ الأرجوانِ المبرّج

قطيناً قطيناً فوقَ أُدم كأنها
هوادي صُوارٍ بالدماء مضرّجِ

دلحْن بأبكارٍ وعونٍ كأنها
غقائلُ عينٌ من مطافِيلِ تخرِجِ

كأنهم إذ ضَحْضَحَ الآلُ دونهم
خلايا سفين مُنْقَلٍ متعمّج
صوادرَ من ميناءِ جُورَ تَحُثُّها
نواتيُّها في زاخرٍ متموّجِ
أو العُمُّ من نخلِ آبن بوصٍ تمايلت
شماريخُها من مُرطبٍ ومنضّجِ
مجانين رقْلٌ من كناوال ناوحت
فروعَ الثريا لا تُنَالُ بِمَعْرجِ
لها شرباتٌ قد نصفْنَ جدوعَها
رواءُ الأعالي حملُها غيرُ مُخدِجِ
وفي الظعن مجوَالُ الوشاح كأنها
صبيرُ حياً في بارقٍ متبوِّجِ
تراءت وقد جدّ الرحيلُ بمشرفٍ
هجانٍ ووضّاح أغرّ مُفَلّج
فدبّتْ حُمَيّا الشوق في النفس واصطلت
تباريح إلا تودِ بالنفس تلعِجِ
عشيةَ لا أستطيع صبراً ولا بُكا
فأشفي غليلي والبكا مَفْزَعُ الشجي
وقد أعسِفُ الخرقَ المهيبَ أعتِسَافَه
بخرقاء من سرِّ الهجانِ عفنجج

مبينة عتقِ الحرّتين وخطمها
يباري السنان غير أن لم يزجّجِ
عجَمَجةٌ روعاءُ زيّافةُ السُّرى
أمونٌ كبُرجِ الأندري المؤرّجِ
إذا زعتّها بعد الكلالِ تغَشْمَرتَ
وحطّت حطاط الجندَلِ المتدحرج
كأني إذا أخليتُها الْخَرْقَ وارتمت
يداها برضراضِ الحصا المتأجج
على لؤلؤان اللونِ سفعاءَ لاعَهَا
تشمُّمُ أشلاءٍ بمضرَعِ بحزجِ
من الخُنْسِ قد باتت وأضحت تعُلّه
بعمياء لا تخشى بها من مهيّجِ
فلمّا رمتْهُ في المفاصِلِ نعسةٌ
إلى بطن حِقْفٍ بالصِريمةِ أعوج
تراخت بها عنه المراعي فأحدقت
به بؤَسٌ ما إن لها من مهجهج
بنو قفرةٍ طُلْسَ المُلاَ من عصابةٍ
إذا أقدمت في غِرّةٍ لم تُحَجْحَجِ
شرابُهُم دمُّ العبيط وزادهُمُ
فَريسٌ طريدٌ لحْمُهُ غيرُ مُنْضِجِ

فراحت لعهدٍ كان منه فلم تجِدْ
سوى جلَدٍ أو رأسِ عظم مشجّجِ
فجالت قليلاً وانْثَنَت تستخيرُهُ
ولم تدرِ أن من يعلّق الحتف يُخلَجِ
فطافت له سبتاً تُرجي إيابَهُ
وأنّى لها هيهاتَ ما هي ترتجي
فلمّا ذوتْ قردانُ ذرَّتِها طَوَت
على عَلّه يأساً مُبيناً لمن شجي
فباتت على فَرْوٍ أجَمّ كأنّها
تلألؤ مقباسٍ يشُبُّ لمدلِجِ
تُقَطّعُ من عزف الفلا جرراً لها
حذاراً فمهما يعزفُ الدوّ تمعج
تغُصُّ بها ما إن تكادُ تسيغُها
فتُلقَى لُفاظاً من لُغامٍ ورِجرجِ
فلما سرى عنها الدُّجى الصبْحُ آنَسَت
به جرْسَ ذي طمرين بالصيد ملهِج
أخي سبعةٍ أو تسعةٍ قد أعدّها
لأمثالها من كل شهمٍ محرّجِ
يحثُّ ضراءاً كالحاتٍ تعوّدت
فغار الصباح من ضِراء ابن الأعوجِ

فما ذرّ قرنُ الشمس حتى غشيْنَها
وجدّتْ نجاءً غيرَ نُكْدٍ ولا وجِ
فألقت معاً أرواقَهَا وتمطّرت
على إثرها مستضرمات بعرفج
فأقصَرْن عنها بعد شأوٍ مغرِّبٍ
ومرّت كمصباحِ السماءِ المدحرج
تساقطْنَ حسرى بين وانٍ مغوّرٍ
وكابٍ بمكنون الحشا متضرّجِ
كأني إذا ما شبّت المعْزُ نورُهَا
على تلك أو هيقٍ هجفٌ هزلّجِ
أزجّ من الزُّعر الظنابيب مُغْرسي
بخرجاء هوجاء البُرَايةِ عوهجِ
يعودان زُغراً بالخميلة دَردقاً
ومرصوصَ بيضٍ حولَها لم يُنتّجِ
يظلاّن في آءٍ وشريٍ طباهُما
بأفرحَ من أزى الرواعد اذْعَجِ
تزايلُهُ طوراً وتأوي فأمسيا
بمنتزح والشمس بالمتعرّجِ
فهاجَمَها جُنحَ الظّلام ادكارُهُ
فزفّا له في أنفِ نكباء سيْهَجِ

وقد أصحبُ القوم الكريم نجارهم
وخيمُهُم من كل أروعِ معنَجِ
يحوطُ المداعي والمساعي مُرزءٌ
تقيٌّ نقيُّ اللونِ غيرُ مزلجِ
عليه قبولٌ يغمرُ الحي سيْبُه
إذا لم يكن في الحي ملجأً لملتجِ
كرامٌ صَفَتْ أخلاقهم وتمحّضت
وليس الصريح المحضُ مثل الممزّجِ
أولئك أخداني فأصبحتُ بعدهم
أسايرُ خلقاً نهجُهُم غيرُ منهجِ
يرونَ جميلاً ما أتوا من قبيحهم
فيا للإله للسّفاهِ المروّجِ

* * *

الشاعر محمد بن محمد العلوي(*)

ولّتْ ليالٍ إلينا ساقها الزمن
ما سيق من بعدها للأعين الوسنُ
ولّت سراعاً وولّى البشرُ يتبعها
عنا وأقبل من أدبارها الحزَنُ
ولّت، فقائم ركن الصبر منهدم
من بعدها ومصون الدمع ممتهن
قد غبن بالوصل ممن لم يغب جزعي
من بعد ما غاب عنا وجهها الحسنُ
بمن إذا قابلت يوماً محدثة
تحاسدت عند ذاك العينُ والأذنُ

(*) الوسيط.

بانوا بها لا سقى الساقي مطيّهم

ولا رعت ما وشاه العارضُ الهتن

يا ظاعنين ولي نفسٌ تصابحهم

في بينهم حيثما ساروا وما سكنوا

حمّلتموني ثقلاً من تحملكم

يعوق جَلْدَ القوي عن حمله الوهن

إن ظلتُ بعدكمُ أدعو الربوع لما

هاجت لقلبي من ذكراكم الدِّمِنُ

تعَادني زفرةٌ يرتدُّ صاعدها

من عبرةٍ ضاقَ عن منهلِّها الجفنُ

ليت الألى ظعنوا بالقلب إذ ظعنوا

لم يظعنوا، والألى لم يظعنوا ظعنوا

* * *

الشاعر الشويعر البوحسني(*)

أمن ذكرِ سلمى أن عرفت لها رسما
كما رجعت حسناء في المعصم الوشما
به الوُرق تشدو والظباءُ مريّة
ومور السوافي ما تركن له وسما
مزجتُ دموعاً بالدماء صبابة
وأغرى بك ادّكّار أزمانها الهما
بلادٌ بها أسماء كانت مقيمة
وكانت نواحيها مجالسنا قِدما
فأمست يباباً بعدها وتمهمهت
وأمست لذا أناؤها بعدها دُهما

(*) الوسيط.

دعاني إليها الشوقُ حتى أتيتها
وروّعت سرباً كان مستوطناً ثمّا

ومما شجاني إنني إن سألتها
أكونُ كأني سائلٌ صخرة صمّا

فما زلت أبكي في الديار وأنثني
كئيباً وما لاقيتُ قد أوهن العظما

وقد مرّ بي ركبٌ وقد شفني الهوى
فقالوا: وما يبكيك؟ قلت لهم أسما

فقالوا ومن أسما؟ ومن حيّها الذي
إذا ذكرت أسما نراها له تُنْمى

فقلت لهم أسماء من آلِ يوسفٍ
ويوسف ذا عمري هو النسب الأسمى

* * *

الشاعر أعمر مولود بن شيبة الأنتابي

لمثلها من عتاقٍ شعشعاناتِ
قضى اللبانة معنيّ اللباناتِ
ملموجُ شُدّت لطياتِ بأرجلها
ويلُمَّها إبلاً شدُّت لطيّاتِ
راحت برحلي من (فرّلّ) واكتفلت
تلك العشية بالسبع الأضيات
طوى برحلى أجوازٌ الفلا يَقَقٌ
عركركُ من ذواتِ العجرفيات
جأبُ الشراسيف ينبو عن وليته
كالأخدري يُباري أخدريّاتِ
إذا النجائب أمست لا حراكَ لها
تحت الولياتِ أشْبَاهُ البليّات

نُجُبٌ يَنجيننا من كل مهلكة
لم يقتحم هولها إلا ابن مقلاةِ
زوى الأرّيب عنها خوفها فخلت
إلا الوحوشِ، جماعاتٍ جماعاتِ
ولو تراهنّ يفرين الفريّ بنا
منا بكل فتى كالنصلِ مصلاتِ
ضخم الدسيعة لا ينفك ديدنه
نيط المسرات أو ميط المضرّات
معصوصباتٍ على معصوصبٍ خشِنٍ
ما بين وهمٍ علندي أو علنداةِ
ما لي أراهُ مذ يومي وليلاتي
نامت فؤادي إحدى الآدميّات
أدمانة من بني المبروك حُمّ لها
منها لعمري إدمانُ الصبابات

* * *

الشاعر محمدو بن محمدي

زارت عُلَيّ على شحط النوى سحراً
فاعتاض جفنك عن طيب الكرى سهرا

زارت، فبات نظام الهم مجتمعاً
شوقاً، وبات نظام الدمع منتشرا

فالقلب يَغلي وجفن العين يسعده
بمدمعٍ كلما كفكفته انحدرا

يا رب مشتبهات لا منارَ لها
من خاضها ركب الأهوالَ والغرَرَا

ضافت إلي، ودوني من هوائلها
ما يستتيه عن القصد القطا الكدرا

عهدي بها لم تزر جاراتها كسلاً
واهاً لها كيف باتت تسلك الوعرا

زارت معرس سفرٍ بعدما ارتحلوا
شهراً رواحاً وتهجيراً ومبتكراً
تهوي بهم راقصات العيس طاوية
أخفافها من عراضِ البيد ما انتشرا
بُزلا سما إلنّيّ في أثباجها وعلى
غربانها لبّدت أذنابها الخطرا
باتت تشق ظلام الليل نحوهم
يا عظم ما كلفت أوحالها الفطرا
ما أنسى لا أنسى والأيام مولعةٌ
بفرقة الشمل إذ خالستها النظرا
فأومأت بكحيل الطرف باسمة
نحوي لكيما أرى أن الرقيب يَرى

* * *

الشاعر أبو بكر بن محمد بن أبو بكر

يصف يوماً من أيام الزراعة
حيث يهشون الطير عن محصولهم

ويـومٍ مـن أيـام الـوغـى لـيس مـثـلـه
من الـدهـرِ يـومٌ لا حُـنيـن ولا بـدر
ولا شـيـك كـلا ولا الـجـل إنــه
عـلـى كـل أيـام الـحـروب لـه فـخـر
فـبـيـنـا نـقـاوي الـدهـر يـنـتـج غـارزاً
حـرايـث زرعٍ نـاعـمٍ نـبـتـهـا نـضـر
تـعـاورهـا الأمـطـار حـتـى كـأنـهـا
من الـزهـو نـخـلٌ كـاد يـصـرعـه الـوفـر

نـطـوف بـه طـوراً ونـزعـم أنـنـا
إذا ما حصدناها فقد حُصد الفقرُ
وحـتـى إذا كـادت تـغـيـب رعـاتُـهـا
أتـيـح لـهـا طـيـرٌ مـنـاقـرهـا حـمـرُ
تـوطـنـت الأحـراص حتى حسبتها
سوى سنبل الأحراث ليس لها وكر
فـلـمـا رأيـنـاهـا تـحـاول أكـلـهـا
ولـلـشـر أهـوالٌ يـضـيـق بـهـا الـصـدر
بـنـيـنـا تـواكـيـداً طـوالاً عـمـادهـا
فـلـمـا اسـتـويـنـا فـوقـهـا ودنـا الأمـر
أخـذنـا سـواويـطـاً كـأن ونـيـنـهـا
رنـيـن قـسـي الـنـبـع هـيـجـهـا نـتـر
يـطـيـر فـتـيـتُ الـطـوبِ شـتـى كـأنـه
رصاصٌ تداعى خلفه الزند والشفْرُ
وظـلـلـنـا قـيـامـاً لا قـعـوداً كـأنـنـا
جـذوع رواسٍ مـا يـزول بـهـا دهـرُ
ومـن تـحـتـنـا بـالأرضِ مـنـا جـمـاعـة
تـخـالُـهـم يـجـرون كـلـهـم كـروا
وتـزقـو كـمـا تـزقـو رجـال عـشـيـة
تداعت على عليا مهيب لها زجر

فما من جلوسٍ لا سوى. . .[1] ما به
تحل يمين الحالفين أو النذر
ولا وقعت في الوقت من صلواتنا
صلاةٌ، فما ظُهْرٌ أداء ولا عصر
يظن إذاً من قدره ذاك إننا
زناديق كُفّارٍ وليس بنا كفر
بلى إن دين المصطفى هو ديننا
لك الحمد مولانا على ذاك والشكر
ولكن تلك الطير لم أر مثلها
عن الزجر والتسواطِ يشغُلها النقْرُ
إذا ما هزمنا عصبة من جيوشِها
أتت عصبة من بعدها مكرَهَا المكر
فنهزمهم كل انهزام وكلما
تركناهم بعد انهزامهم كرُّو
فما زال هذا دأبنا وهو دأبها
لدن أشرقت حتى تضمنها البحر
فإن تك لم تمنع من الطير زرعنا
ولم نستفد منها فقد بقي الأجر
وما خاب من بالأجر فاز فإنه
هو الفوز ما في ذاك ريبٌ ولا نكر

* * *

(*) كلمة سقطت من النص.

الشاعر محمد بن سيديا(*)

ما حلّ عقدة عزمي سحرُ حوراء
ولا ازدهى طود حلمي برقُ زهراء

عصرُ الصّبا أتّقتني فافتديتُ بها
سُبُلَ الهداتِ وأخلاق الأعفّاءِ

حبسْتُ نفسي بسجنِ الصبْرِ منتضياً
عزْمي وقيدتُ ألحاظي بإغضاءِ

كي لا تمر إذاً في وجْهِ غانيةٍ
بروضةٍ من رياضِ الحسن غنّاء

ماءُ الملاحة جارٍ في مسائلها
إلى منير أقاحٍ وسْطَ حوّاء

(*) ديوان محمد سيديا، مخطوط مكتبة المؤلف.

فتنثني لفؤادي وهي رائدةٌ
له فتخبره بالرّعي والماءِ
حتى إذا القيهلُ التاثت حديقته
به وهمّت بأزهارٍ وافياء
وكاد يُصبح ليلي بعد دهمته
وآن وقتَ انتباهي بعد إعفائي
سرحتُها من وثائق إذ وثقْتُ بها
والعجبُ أصلٌ لما في النفس من داء
فأنست في حوارِ العين آنسة
وفي السحائب منها برق غرّاءِ
فانهدّ إذ ذاك طودُ الحلم وانتكثت
من عرى العزم لمح الطرفِ من راء
حتى هممتُ بشيء ما هممت به
أزمان لاقَ بأشكالي وأكفائي
حسناءُ هام بها قلبي ولا عجب
كم هام قلبُ فتى قبلي بحسناء
هنّ اللواتي أذقن الموت عروة
والنهدي عن مقتلي هندٍ وعفراء
وابن الملوح قيساً في فتوّته
أصمينَ وابن ذريحٍ أيّ اصماءِ

كم ذا هممت بوصليها فتردعني
عنها روادع من آيٍ وأنباء
فأنثني وأقول الله أرحمُ أن
يولي انتقاماً على وضلِ الأحباء
ولم أزل هكذا حتى تنهنهني
عداوة وردت بين الأخلاّءِ
هناك ازوُر كرْهاً عن زيارتها
كي لا يُجر لها المكروه جرّائي
وأيّ شيء على الأحرار أشنعُ من
تسبَّبُ في معاداةِ الأودّاء
هذا وليست يدٌ لي أن أعاديَ من
شدّت يديها بقلبي بعد ابداء
ولاودتني ولا انقادت إلى قوَدي
ولم ترقّ كأرباب الأرقاءِ
وأقبلت تتشكّى وهي مشكيةٌ
كالقوسِ رنّت وقد شاكت بحرّاءِ
وشافعٌ في محيّاهَا شفاعته
يمحو بها حَوْبها من كلِّ حوباءِ
أما وعزّة من أهوى عليّ على
هوني عليها وإبعادي وإقصائي

لولا خشاني عليها سوءُ عاقبة

لمّا يُعقبْ تماديها بإنهاءِ

لصلتُ للوصل جهراً لا تنهنهني

زُرق الأسنةِ في أيدي الأشدّاء

حتى أمَرّ حبالاً لا يغيُّرها

طول التنائي ولا مشيُ الأنمّاءِ

فامزجُنّ بروحي روحَها فنَرى

روحاً بشخصين مزج الراح بالماء

وحينما شئت بتنا في مسرّتنا

سرين يكتمنا حيزوم ظلماء

أفٌ على الصبح ما دام الوصالُ فإن

كان التقاطع فلينعم بسُرّاء

* * *

الشاعر ولد ابنو

يهجو تاجراً يدعى (نجير)

لـحـا الـلـه الـتـجـارة كـلـفـتـنـا
معـانـاة الـمـسـيـر إلـى (نـجـيـر)
وإظـهـار الـوداد لـه عـلـى مـا
أجنّ من الـخـبـائـث فـي الـضـمـيـر
عـلـيـه مـن الـمـذلّـة سـابـغـاتِ
تـجـرر فـي الـمـقـام وفـي الـمـسـيـر
وأمـا فـاه فـاح الـنـتـن حـتـى
كـأنـا عـنـد حـاشـيـة الـسـعـيـر
وإن رمـنـا حـوائـجـنـا تـصـدّى
إلـى سـعـلاء دائـمـة الـهـريـر

يحاول أن تشير له برأي
يجنب كل مكرمة وخير
تردت بالمخازي والمساوي
وجنبت التردي بالحرير
فقبّح وجهها من مستشار
وقبّح وجهه من مستشير

* * *

الشاعر المختار الحامد

شفاء الضنا من مريم لثم مريم
ومن دونه خرط القتاد على الفم
لو أني لها كفؤ إذاً لشفيته
بوجهٍ صحيح جائز لا محرم
ففي شفتيها والثنايا مطامحي
وفي ريقها برء العليل المتيم
ألا لا تفُتْك الخود إن كنت كفأها
فما كل أهل اليوم كفؤ لمريم
فإن فتى فاتته مريم فاته
لعمرك شرط من شروط التنعم
تسلّ بها لا تسل عنها فتعتلق
بذكر سليمى والرباب وتندمِ

* * *

الشاعر مختار الحامد

طيف لمريم زارني في منزلي
ليعلّني منها ولو لم أنهلِ
بسلافةٍ من ريقها تجري على
درّ نظيم في اللثاة مُفَصّل
وبوردةٍ في خدّها ممطورة
وبزهرة في ثغرها لم تذبُلِ
وبرملة في ردفها، وببانة
مالت على ذاك الكثيب الأهيل
وبنرجسٍ رد الطفولة والصبا
في عين هاتيك المهاةِ المطفلِ
إن كانت إلا نظرة عرضاً وقد
«أمسيتُ ممسى راهبٍ متبتل»

فرجعت أصغَرَ والمشيب مقنعي
ومحَنكي (من ذي تمائم منْحَلِ)
وظللتُ كالمدري بليلٍ مظلم
من فرعها «ما الصبْح منه بأمثل»
يا قوس حاجبِ مريم، يا اسهماً
في لحظها. لا تُرس لي لا تُرسلي
يا صارماً في جفنها، يا عقرباً
في صدغها لا درع لي لا نعل لي
رفقاً بمن ضحك المشيب بفوده
«فبكيت حتى بلّ دمعي محملي»
رحل الشباب وليته لم يرحلِ
يا في سبيل الله من مترَحّل
قل للشباب إذا نزلت بحيّه
ولقيته ولقيتهم في منزل
«لو كنت أعلم أن آخر عهدكم
يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل»
ولقد صرفت على المشيب سويعة
فوّتها في جنح ليلٍ أليل
في جنب خودٍ كالجديل خصُورها
«أهوى مخارمها هويّ الأجدل»

أسـقـى بـخـمـرٍ لـذةٍ وأعـضّ فـي
بـــرَدٍ ولـــم يُـــمْـــسَـــك. . .[1]
فـكـأن لـيـلـي يـوم دارة جـلـجـل
وكـأنـنـي فـيـه ابـن أخـت مـهـلـهـل
«هـذا وإن الـضـيـف مـخـبـر أهـلـه
بـمـبـيـت لـيـلـتـه وإن لـم يُـسـألِ»

* * *

(1) كلمة سقطت من النص.

الشاعر أبو فمين

أصخ لقبّرةٍ ناءت عن الوطن
كما نأيت ويبكي ساكن الوكن
مغبرة الطوق والمنقار جُؤجُؤها
تشويه حمرة مصفرة البدن
لما شدت خلت أني كنت أعهدها
بذي ذوي مائة تشدو على فنن

* * *

الشاعر محمد وليد الشيخ سيديا(*)

لعمرك ما ترتاب (ميمونة السعدي)
بأنا تركنا السعي في أمرها عمدا
سوى أننا كنا عبيد مشيئة
ولا عار في أن يعجز السيدُ العبدا
فليس علينا أن يساعدنا القضا
ولكن علينا أننا نبذل الجهدا
ألم تر أنا قد رعينا عهودها
على حين لا يرعى سوانا لها عهدا
حبسنا عليها وهي جدبٌ سوامنا
فما صدنا السعدان عنها ولا صدا

(*) ديوان محمد سيديا، مخطوط مكتبة المؤلف.

ويظعن عنها الناس حال انتجاعهم
ولـم ننتـجـع بـرقـاً يـلـوح ولا رعـداً
وإذ غدرت فانفض من كان حولـها
وَفينا ولـم نغدر ولـم نخلف الوعدا
فـجئنـا لـهـا حتـى ضـربـنـا قـبـابـنـا
على نجدها الميمون أكرم به نجدا
ومـرجـع سـانيـهـا جعـلـنـا مـخـيـمـا
لـئلا نصون الشيب عنها ولا مردا
نظل وقـوفاً صـائـمين عـلـى الـظـمـا
نـخال سموم القيظ في جنبها بردا
وتـذري عـلـيـنـا الـرامـسـات غـبـارهـا
فـنـنشـقـه من حب اصـلاحـهـا وردا
ويشـرب كـل الـناس صـفـو مياهـهـم
ونشرب منها الطين نحسبه شهدا
بـهـذا تـرى مـيـمـونـة إنْ تـركـنـا
لـها لـم يكـن منا اختياراً ولا زهدا
عـلـى أنـنـا والأمـر عـنـا مـغـيـب
ولـلـه مـا أخـفـى ولـلـه مـا أبـدى

من الله نرجو أن ييسر أمرها
ويجعل بعد النحس طالعها سعدا
فيرأب مثآها ويجبر كسرها
ويبقيها ميمونة كاسمها (سُعْدى)

* * *

الفهرس

الصفحة

عاش عرب الصحراء في تعتيم مقيت، جهل أخوانهم عنهم كل شيء.

غير أنهم لم يأبهوا بذلك، فأرسوا دعائم حضارة صحراوية في تلك الأصقاع وتكيفوا مع الصحراء واتساع آفاقها ووعورة مسالكها. فأنشأوا المدارس الخاصة بهم، وأكثروا من الكتاتيب. ونبغ منهم الشعراء والأدباء والمؤرخون والعلماء الأجلاء. وعمرت خيام الصحراء بآلاف المخطوطات اللغوية والفقهية والتاريخية ودواوين الشعر.